بسم الله الرحمن الرحيم

1.

السنة ١٠

صدى الأربعين

العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

العنوان: صدى الأربعين

الناشر: العتبة العباسية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الإعداد والتحرير والمراجعة اللغوية: شعبة الفكر والإبداع وحدة الإصدارات

التصميم: حسين عقيل - حسين شمران

الطبعة: الأولى

عدد النسخ: ١٠٠٠

شهر صفر الخير ١٤٣٧هـ

حقوق النشر والتوزيع محفوظة للعتبة العباسية المقدسة

المحتويات

١١ الأربعين الحسيني شعائر ومشاعر

١٩ زيارة الأربعين نداء يتجدد

٢٥ الإمام الحسين -عليه السلام- وسيلتنا إلى الله

٣٧ الصلاة عند مرقد الإمام الحسين -عليه السلام-

٥١ واقعة كربلاء وتر لا يحده زمان

٥٩ الثورة الحسينية و دروس التغيير

٦٧ الاستنصار الحسيني.

٨١ هل كانت ثورة الحسين عليه السلام محققة لاهدافها؟

٩٣ الجانب الإنساني والتبليغي والأدبي عند الإمام الحسين -صلوات الله عليه-.

١٠٧ البكاء وكمال الروح

١٢١ زيارة الأربعين

١٢٥ زيارة الإمام الحسين -عليه السلام- في العشرين من صفر

في البدء

لطالما أضحت زيارة أربعين الإمام الحسين-صلوات الله عليه- مصدر قلق وأرق للأنظمة الظّالمة، لهذا عمدت تلك الأنظمة لمحاربة تلك الزّيارة والتّضييق عليها بصور مختلفة، ولأنّ خلود ذكرى الحسين -عليه السلام- ميثاق إلهي نقلته مولاتنا العقيلة زينب -عليها السلام- في حديثها للإمام زين العابدين -عليه السلام- عندما كان يجود بنفسه «بأبي هو وأمي» وهو يرى الأجساد صرعى، ولم توارى الثّرى، بالعراء مسلّبين، لا يكفنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر كأنّهم أهل بيت من الدّيلم والخزر، نظرت إليه سيدتنا زينب -عليها السلام- فقالت: **" لا يجزعنك ما ترى فو الله إنّ ذلك لعهد من رسول الله إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرّجة وينصبون لهذا الطّف علماً لقبر أبيك سيّد الشّهداء لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علوا".**

لهذا نجد أن جمال شعائر الحسين وزيارته-عليه السلام-، وروحية الإحياء تكمن في عفوية الناس في الإحياء.

إنّ الإمام الحسين -عليه السلام- ليس شخصاً، بل هو قضية، وقيمة، ومدرسة، ومنهج، ومسيرة. فهو -عليه السلام- كالنبي إبراهيم-صلوات الله عليه- الذي كان يمثّل أمّة، وكان حنيفاً مسلماً، ولم يكن من المشركين، ولذلك فإنّ جميع أتباع الدّيانات السّماوية يقدّسون هذا الرّجل؛ لأنّه جسّد قيمة التّوحيد، ورفع راية «لا إله إلا الله»، ولذلك قرّر القرآن الكريم أنّه كان أمة، واستجاب له الله -سبحانه وتعالى- عندما قال: (وَاجْعَل لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ).

إنّنا نبكي الحسين، ونزوره؛ لكي نصبح حسينيين. فمثل هذه الشّعائر هي التي حافظت على الإسلام، بلى هي التي حافظت علينا - نحن الشيعة - على مرّ التاريخ رغم كثافة المشاكل المحيطة بنا.

وهكذا فإنّ نهضة الإمام الحسين -عليه السلام- كانت قضية فأصبحت قيمة، وكانت واقعة فتحوّلت إلى راية. وكل إنسان في هذا العالم يريد أن يدافع عن قيمه، وقضيته، وظلامته، لابد أن ينضوي تحت هذه الرّاية المقدّسة.

إنّ زيارة الأربعين، ومجالس العزاء والبكاء، واللطم وغيرها وما يكتب وينشر ونحو ذلك فيما يرتبط بالقضية الحسينية المقدَّسة، هي كلّها مقدّمات لتحقيق هدف الإمام الحسين -صلوات الله عليه- من نهضته المقدّسة.

لهذا يجب أن لا ننخدع بأقوال الذين يدّعون الدّين، ويسعون بكلماتهم المعسولة إلى انحراف المجتمع، وتضعيف الزيارة في أربعين الإمام الحسين-عليه السلام-.

الأربعين الحسيني
شعائر ومشاعر

الشيخ حيدر حسن/ باحث إسلامي

ونحن في ذكرى أربعينك يا أبا عبد الله ... يسألوننا ما سرُّ هذا التَّدافع؟ وهذا الزَّحف المليوني باتجاه أرض الطَّف؟ باتجاه قبرك يا سيِّدي؟.

هذا الحشد الهادر، وهذه النّفوس، وهذه التَّجلّيات، مظاهر عجيبة في المعاني، ومعانٍ عجيبة في المظاهر، لا يمكن لأحد إلاّ أن يكون واقفاً إجلالاً لهذه الحشود، باتجاه سفينة النَّجاة، وقارب الخلاص.

حيث مذبح الحسين-عليه السلام- هناك في باب قبلته، وحيث لبّت هذه الحشود النِّداء إلى سفينة الخلود وشاطئ الرَّحمة، يحوط بها عُشّاق الحسين وزوّاره، ليقولوا لأبي الفضل العباس -عليه السلام-؛ نعم سيدي أنت أسّست الفضل والإباء.

جاءوا يبحثون عن كفَّيك؛ وهل كفَّيك إلاّ الجود والعطاء، وهل كفَّيك إلاّ محض الحب والولاء، تمسح على جبين الكون، ومع هذا الزَّحف الهادر، ونحن نشاهد محبِّين ليسوا ككل المحبين! وأنصاراً ليسوا ككل الأنصار! وكرامات ليست ككل الكرامات!.

وليس هذا من فيض التَّعبير الإنشائي، أو إنشاء التَّعبير اللغوي، إنَّها حقيقة سرمدية وصدق ثابت، ومعنى متجذِّر، واُسٌ لا يمكن إلاّ أن يكون قاعدة للعلوم، علوم الرياضيات، ورياضيات لعلوم الكون، وفيزياء الكون والذرة والقوانين، والأواصر والكيمياء المختصة بها، كلُّها علوم محترمة، لكنَّها عند الحسين قانون واحد، إنَّه قانون الوعي والبصيرة، على امتداد هذه الحشود إلى ما بين الحرمين، ستقف كلُّ القوانين، وتنتهي كلُّ الأشياء، إنَّه القانون الطَّبيعي، الفيزيائي، الذَّرّي، الكيميائي، هذه الرَّايات والبيارق، كلّها تعبيرات عن هذا القانون وهذا الفهم وهذا الوعي، وهذا الصّوت وهذه المدرسة وهذه الجامعة، ترى ماذا في صدورهم! وماذا في خلجات أنفسهم! وماذا في مشاعرهم عندما يضربون على الرّؤوس ويلطمون الصّدور! حزناً على الإنسانية المعذّبة ينادون يا حسين.

على أرض العراق، عراق الصّدق والمبادئ، عراق الرِّفعة والعظمة والسّمو، العراق

الحسيني الموحّد بوحدة أبنائه، بالصوت الذي ينطلق برمز وحدته، بصدق المخلصين من قادته، ونحن نسير الى كربلاء، كربلاء الحسين.

ها هم أتباعك سيدي أبا عبدالله، يواسون الرَّسول الأكرم -صلى الله عليه وآله- بفاجعته ومصيبته، التي أبكت أهل الأرض والسّماء، ها هم أتباعك سيّدي قادمون إليك يطوفون بكعبتك مولاي؛ راسمين لوحة رائعة من الموالاة والبيعة، تعجز فصاحة اللسان وجمال المعاني والبيان وصف هذه الملحمة الرّائدة، التي حوت ما حوت من معاني العزة والشَّجاعة والشُّموخ والتَّضحية والإيثار، إنَّها ترنيمة الحياة وسمفونية الدَّهر.

هذه الحشود سائرة إلى الحسين وأخيه أبي الفضل -عليهما السلام-، إنَّها قبلة المعاني والحضارات، قبلة الدَّم الذي لا ينتهي، وسفينة النَّجاة، بقلوب مؤمنة آمنت بالثّقلين، الكتاب والعترة، ومدرسة المصطفى محمد -صلى الله عليه وآله- التي تحدَّت كلَّ الطُّغاة عبر التاريخ، وكلَّ طواغيت الأرض؛ لأنّ هذه الحشود المليونية هي التي تكتب التاريخ، بدماء القلوب التي اتصلت وتواصلت مع فاجعة كربلاء وملحمة عاشوراء.

متَّصلة بعطاء مدرسة الرَّسول الكريم محمد -صلى الله عليه وآله-، مدرسة الحسين، ودم الحسين؛ الذي قتل ظلماً وعدواناً في صحراء كربلاء على أيدي الطّغاة، أتباع سائرون، يضربون على الصُّدور والرؤوس، دلالات على الرَّفض والاستنكار لكلِّ جريمة عبر التاريخ وقعت وواقعة الآن وستقع مستقبلاً، يضربون الرّؤوس، ويلطمون الصدور حزناً على الإنسانية المعذّبة، منطلقين من أرض العراق المعطر بدماء أبنائه، بقادته، بمرجعياته؛ الذين وقفوا وتحدّوا، وخاضوا غمار هذا التّغيير رغم كلَّ محاولات التَّزييف ورغم كلِّ الإعلام المضلل، ورغم كلِّ الأجندات من الكبار والصِّغار، لكن العراق، عراق الإنسانية، عراق الحسين؛ نهض وبقي وبقيت وحدته، يبني ويعمر وينشد الأمن والأمان بفضل تضحيات الحسين.

أيُّها الإمام الشَّهيد! يا فيض العلم الملكوتي، وهناك على أرض الطَّف حيث بقيت راية أبي الفضل -عليه السلام- ترفرف رغم الكفين القطيعين.

نعم يتيه القلب في هؤلاء، مع المشاعر، من أعماق الحناجر، مع هذه الشَّعائر، إنَّه قول أصدق من كل قول، ونشيد يحمل كلَّ معاني الإنسانية المعذَّبة، ترانيم وتسبيحات، تهفو الى الإله العظيم؛ الذي اشترى من المؤمنين أنفسهم، وعاشوراء، والعراق، وملحمة العطاء المحمدي والوعي الكامل الحقيقي لهذه الأمة، قضية الدم المسفوح ! دم السبط الشهيد ! دم أتباع النهضة الحسينية !.

وكيف لنا أن ننسى من وقف بوجه هذا الشّعب، ابان سنوات الظّلم والقهر، لبيك يا حسين ! نشيد القلوب، لأنَّ حبَّك يا سيدي ربيع المشاعر وسلوة النُّفوس، ونهجك طريق للصلاح، ورؤاك المستقبلية حدَّدت طريق الخلاص، والتّحرر، والسَّعادة، لأنَّك أمرت بالمعروف فحقّقته بدمك الطّاهر، وطلبت الصلاح فنلته في قلوب الزَّائرين، مسيرنا إليك سيدي صرخة إباء وشموخ، ونشيد يردّده الأحرار في كلِّ زمان، ومكان...

الطريق
الى
كربلاء

زيارة الأربعين نداء يتجدَّد

حيدر فائق/ صحفي.

الرسالة المُتجسدة في نهضة الإمام الحسين -عليه السلام- رُسِمت بقطرات الدِّماء الزَّاكية لا لرغبته واختياره لذلك الخط الدّموي المأساوي، التّراجيدي، بل كان مساره الرِّسالي يتمثّل في المنهج الإصلاحي للأمَّة، ونستشف ذلك من عبارته الشَّهيرة: «إنِّي لم أخرج أشراً ولا بطراً وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمَّة جدِّي».

فالإمام الحسين -عليه السلام-، فُرِضَت عليه مواجهة الطّغيان والعبودية والمتمثّلة بحكم الطاغوت الأموي، وهنا يتجلى لنا آلية النَّهضة الإصلاحية، فلا خيار، إما الموت أو الحياة، وفي كلاهما حياة للأمة الإسلامية وهذه الحياة المُتمثلة في إحياء مبادئ وقيم دين الرّسول الكريم محمد -صلى الله وعليه وآله-، والتي امتدّت زمنياً من خلال مسار عترته الطّاهرة -عليهم السلام-.

إنَّنا نعتقد بأنَّ من أولى الخطوات التي يقوم بها الأجانب الكفار لسحق هويتنا، هي محاولة إبعادنا عن الإمام الحسين -صلوات الله وسلامه عليه- وعن شعائره، وخصوصاً زيارة الأربعين... هنالك تجربتان جديدتان، ولا تعنينا التّجارب التّاريخية حالياً.. فإذا نجح الكفار في أخذ الإمام الحسين -عليه السلام- منَّا، وهي خطوتهم الأولى، فسينجحون في الخطوة الثانية وهي القضاء على هويتنا، وإذا فشلوا في الخطوة الأولى فشلوا في الخطوة الثانية.

إنَّنا نلاحظ الآن هذه الرّوح الدّينية الموجودة في العراق عند الشَّعب العراقي حتى أنَّ الآباء والأمهات يبعثون فلذات أكبادهم من أجل تلبية النِّداء والدِّفاع عن المقدَّسات، وعندما جاءت القوات الغربية إلى العراق كانوا مذهولين من هذا الحب وهذا العشق للإمام الحسين (صلوات الله عليه). شاهدوا رجلاً عجوزاً كان مشرفاً على الهلاك، وكان يعاني من الجفاف في بدنه، فأسعفوه بالإسعافات الضّرورية، ثم تبيَّن لهم أنَّ هذا الرّجل الهرم الطاعن في العمر، كان يمشي لمدَّة ست وثلاثين ساعة في البراري والقفار بلا ماء حتى أشرف على الهلاك، وقد ذُهلوا لمشهد كبار السّن والشّباب والأطفال وهم

في طريقهم لزيارة الإمام الحسين -عليه السلام-، وبعد أن سألوا وتحقّقوا ـ جنود القوات الغربية ـ إلى أين يذهب هؤلاء مشياً على الأقدام؟ فتبيّن لهم كما قالوا: أنَّ هنالك قديساً يقدّسه هؤلاء وقد قُتل قبل ألف وثلاثمائة عام، وهو مدفون في كربلاء، والحب يدفع هؤلاء إلى هذه الأعمال الخارقة للعادة.

إنَّ الفرد الذي يملك مثل هذا الحب لسيّد الشّهداء -عليه السلام- ويعيش في هذه الأجواء، هل يمكن أن يفقد دينه وهويته؟ لقد رأينا كثيراً من الذين نموا في مثل هذه الأجواء ثم ذهبوا في ذلك الخضم المتلاطم، في الغرب، بقوا محافظين على هويتهم، وأنا رأيت كثيراً من هؤلاء عندما كنَّا في كربلاء، لقد كانوا أطفالاً لكنَّهم نشؤوا في أجواء الإمام الحسين -عليه السلام- وأجواء الهيئات والمواكب.

إنّ الإنسان الذي يجري حب الإمام الحسين -عليه السلام- في قلبه وعروقه لا يمكن أن يفقد دينه وإيمانه، والآن كثير من هؤلاء الشَّباب الذين عاشوا في تلك الأجواء هم حملة لواء الإمام الحسين -عليه السلام- في بلاد الغرب، وفي بلاد الكفار.

فإذن أوّل ما تحقّقه لنا زيارة الأربعين وهذه المجالس والمنابر والمواكب والمجالس البيتية وهذه الكتب، هو الحفاظ على الهويّة الدِّينية التي أضحت في معرض الخطر ليس في بلاد الغرب فقط، بل حتى في عواصمنا الإسلامية، فكلّما نهتم أكثر بهذه الأمور ـ الشَّعائر الحسينية ـ سنحفظ أنفسنا ونحفظ أجيالنا أيضاً، هذا هو الهدف الأوَّل.

الهدف الثّاني: الدّعوة إلى الله تعالى

إنَّ الهدف الثاني الذي تحقّقه لنا زيارة الأربعين هو الدّعوة إلى الله -تعالى-، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وإرشاد الجاهل وتنبيه الغافل، إذن هذه هي مهمّتنا وهذه وظيفتنا.

نقرأ في الرّواية المعروفة أنَّ النَّبي -صلى الله عليه وآله- قال: وجدت على يمين العرش مكتوباً (إنَّ الحسين مصباح هدىً وسفينة نجاة)(١) ونقرأ في الزّيارة: (ليستنقذ عبادك

من الجهالة وحيرة الضّلالة)، إذن قضية الإمام الحسين لها القدرة على إنقاذ كل العباد.

طريق التَّوبة

كان هنالك رجل يعمل سائقاً وكان ينقل قضيته هذه لأحد العلماء، يقول الرّجل السائق: لقد كنت في بداية الأمر مُغنّياً ومطرباً ولم يبقَ منكر من المنكرات إلاّ وعملته، ولم تكن لديّ علاقة بالدين في أي فرع من فروعه، حتّى الصلاة كنت لا أؤدّيها، وفي إحدى الأيام، خرجت عائلتي كلّها ليلة التاسع من شهر محرم وبقيت وحدي في البيت، شعرت بالضَّجر وقلت لنفسي، سأخرج خارج البيت دفعاً للملل، فخرجت ومررت بمكان كان يقرأ فيه أحد الخطباء، فجلست في المجلس كي أسمع ماذا يقول هذا الخطيب؟ فأخذ يتكلّم وعرّج على قضيّة أبي الفضل العباس -صلوات الله عليه- فأثّرَ بي جدّاً، وأخذ الخطيب يتكلّم حول أبي الفضل العباس -عليه السلام- عندما قطعوا يمينه وقال: "والله إن قطعتموا يميني إنّي أحامي أبداً عن ديني"(٢) يقول السّائق: هذه الكلمات أثّرت فيّ بشدَّة، ففكّرت أنّ هؤلاء الصّفوة ضحّوا بأنفسهم وبكل ما يملكون في سبيل الدّين، وأنا أسحق الدين بقدمي!. ويواصل السّائق: لقد قررت أن أتوب في المكان نفسه، وفعلاً تبتُ إلى الله سبحانه وتعالى توبةً نصوحاً، وعدت إلى البيت وحطّمت كل الآلات المحرّمة التي كانت في البيت، وتركت عملي القديم لأنّه كان في مجال الغناء وعملت كسائق تكسي، وقد أنعم الله تعالى عليَّ، وأحمده سبحانه على هدايتي، أما من النّاحية المادّيّة فوضعي جيد..

ويوجد مثل هؤلاء الأفراد في داخل المنظومة وفي خارجها بالمئات بل بالآلاف.

الهدف الثّالث: زاد الآخرة

إنّ أمام كل واحد منّا سفر طويل، فما هي الذَّخيرة التي أعددناها لهذا السَّفر؟

فلا أمل في أعمالنا التي نقوم بها، فهي وظيفة يجب أن نؤدّيها، وربما تكون كثير من أعمالنا مشوبة بالنّقص، فالصّلاة التي نصلّيها كثيراً ما يرمى بها رأس صاحبها كما في الرّوايات(٣)، وكثيراً ما لا يُقبل منها ولا ركوع واحد، أو ولا سجود واحد، ولا كلمة واحدة، لكن الأعمال التي تسجّل خدمة لسيّد الشّهداء -عليه السلام- وخدمة لأهل البيت -عليهم السلام- هي التي تُمثّل الأمل، حيث ينبغي أن يكون عندنا أمل، مضافاً إلى الأمل برحمة الله سبحانه وتعالى، وهو الأمل بهذه الأعمال في خدمة سيّد الشّهداء -صلوات الله عليه-.

إنّ هذا يحتاج إلى أن يفتح الإنسان حساباً مع أهل البيت -عليه السلام- ليخدمهم، لأنّ هذه الأعمال تمثل الأمل في لحظات الاحتضار والأمل في القبر والأمل في القيامة.

أنقل لكم هذه الرّواية مختصرةً، وهي مذكورة في كتاب (وسائل الشّيعة) في كتاب الحج منه، ينقل الرّاوي عن الإمام الصادق -صلوات الله عليه- يقول له: "رحم الله دمعتك" إنَّ هذه الدّمعة لها قيمة كبيرة عند الله سبحانه وتعالى، "أما إنّك سترى عند موتك حضور آبائي لك"، فهذه أثر دمعته على سيِّد الشّهداء -عليه السلام- "ووصيّتهم ملك الموت بك، ولملك الموت أرق عليك من الأم الشّفيقة على ولدها"(٤) فهذا هو أثر الدّمعة على سيد الشّهداء -عليه السلام- ألا يحتاج هذا الإنسان أن يفتح حساباً مع أهل البيت -عليهم السلام- ومع الإمام الحسين -صلوات الله عليه-.

وفي حديث مروي عن الإمام الصّادق -صلوات الله عليه- يقول: "إنّ الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة هو الحسين بن علي -صلوات الله عليه-"(٥) ولا عجب في ذلك، فمن الذي يتولّى قبض الأرواح بإذن الله تعالى؟ إنّه ملك الموت، ومن الذي يتولّى حساب الناس قبل يوم القيامة ؟ إنّه سيّد الشّهداء -عليه السلام-.

من هنا ينبغي لنا أن نهتم بهذه القضية بالمقدار الذي نتمكّن منه، فنحن لنا قدرة هائلة، وحقّاً نحن مفرّطون في هذا الجانب، فالحضور ضروري، والمشاركة الشّخصية ضرورية، ولبس السّواد ضروري أيضاً، كذلك وضع المصابيح الحمراء على البيوت إظهاراً للتفجع ضروري، ولكن ليس هذا كل شيء، فنحن قادرون على أن نقوم بأكثر من هذا.

يجب أن لا نظن بأنّ الذين خلّفوا هذه الآثار كانوا أفراداً مقتدرين، وهذه هي الفكرة والتّصور الموجود عندنا، وهو تصور خاطئ، إذ لم يكن أولئك الذين قاموا بتلك الأعمال أناساً مقتدرين غالباً، بل كانوا أفراداً عاديين مثلنا غالباً، ولكن كانت هذه الأعمال محط عنايتهم، فيبارك الله تعالى فيها.

لا يخفى على كثير منّا أنَّ حقيقة رسالة نهضة الإمام الحسين -عليه السلام- ما زالت مُغيبة عن كثير من المُسلمين عمداً من طرف ما أو جهلاً من العوام..

تغييب تلك الحقيقة أو جهلها - مع المقدرة بالمعرفة - يتعارض وأهداف الإمام -عليه السلام- الرّسالية، وهذا ما يجب علينا جميعاً من رجال دين وعوام على السّواء من استنهاض تلك القيم ونشرها وتفعيلها في واقعنا المُعاش، ويتجلى ذلك من خلال استيعاب وتفعيل ما يلي:

١ - القناعة والاستيعاب التّام بأنّ نهضة الإمام الحسين -عليه السلام- هي مُلهِمة ومرجعية لكل المُسلمين، بل لكل العالم، ولو أنصفنا أكثر لقلنا للإنسانية كافة.

٢ - التّعمّق المعرفي والاجتهاد للإلمام بتفاصيل نهضة الحسين -عليه السلام- والتّجرّد من جلباب الجهل والتّبعية في إثبات أو نكران مظلوميته، والمصادر الموثوقة هي خير مرجع في حال الاختلاف، فإعمال العقل والتتبع التاريخي يرمم تصدعاتنا الثّقافيّة وسطحيتنا المعرفية.

٣ - نشر مظلومية ورسالة الإمام -عليه السلام- عالمياً فضلاً عن محيطنا المحلّي،

وليس الهدف البكاء والتّباكي لمجرد بث الحزن عاطفياً، رغم أهمّيّة الجانب الوجداني بل يجب أن نستلهم من هذه المظلومية نبذ الظلم والجور ومحاولة مُحاربته في وقتنا المعاصر. خاصة ونماذج الظّلم نُشاهدها في كل ساعة من يومنا في جميع بقاع المعمورة.

٤ - عدم الجمود في وسائلنا التّعريفيّة لهذه القضيّة العظيمة بل يجب استحداث وابتكار السبل الفعّالة بقوالب حديثة لتسليط الضّوء على هذه الرّسالة الخالدة، فالوسائل التكنلوجية ووسائل النّهضة الإعلامية هي كالبرق في إيصال القضية، فضلاً عن طي مسافات شاسعة قد تفصل المجتمعات بعضها البعض، وتجديد خطاب المنبر الحسيني بإطروحاته ومُلامسته لواقع المجتمع وليصبح وقعه أكثر صدقاً وفعالية.

فنداءات الحسين-عليه السلام- لا تُخفيها الدّهور بصروفها، نداءاته خالدة باقية لا تُمْحى.

الهوامش:

١-مدينة المعاجز: السيد هاشم البحراني: ج ٤ ص٥٢.

٢-مناقب آل أبي طالب: ابن شهرآشوب: ج٣ ص٢٥٦.

٣-الكافي: ج ٣ ص٣٦٣.

٤-كامل الزيارات، لجعفر بن محمد بن قولويه: ص٢٠٤.

٥-بحار الأنوار: ج٥٣ ص٤٣.

السلام عليك يا سامي محاشن كربلاء

الإمام الحسين -عليه السلام- وسيلتنا إلى الله

السيد محمد الحسيني/ باحث إسلامي.

(اللهم اجعلني عندك وجيهاً بالحسين عليه السلام في الدنيا والآخرة)

هذه فقرة من زيارة عاشوراء، وهي إحدى الزّيارات المهمّة التي ينبغي للمؤمنين جميعاً المواظبة عليها في كل يوم، أو على الأقل في كل أسبوع، فهذه الزّيارة فيها آثار أخروية عجيبة، وإذا أردتم أن تطّلعوا على هذه الآثار اقرؤوا كتاب (مفاتيح الجنان) للمحدّث القمّي (رحمة الله تعالى عليه).

إنَّ هذه الزّيارة فيها بركات كثيرة، وهي مشحونة بالمعارف المتنوّعة، ومن جملة فقرات هذه الزّيارة العظيمة، هذه الفقرة: (اللهم اجعلني عندك وجيهاً بالحسين -عليه السلام- في الدّنيا والآخرة).

أنواع الوجاهة

النّوع الأوّل: الوجاهة التي ترتبط بالمعادلات المادّيّة، فالثري له وجاهةٌ اجتماعية، والرئيس له وجاهة اجتماعية...

النّوع الثّاني: الوجاهة التي ترتبط بالمعادلات الإلهية، إنَّنا في هذه الفقرة لا نطلب النّوع الأوّل من الوجاهة، ولذلك نقول (اللهم اجعلني عندك وجيهاً...) بمعنى أنّ هذه الوجاهة وجاهة إلهية، والسّبب في ذلك واضح لثلاث نقاط:

محدودية الوجاهة الاجتماعية

النّقطة الأولى: إنَّ الوجاهة الاجتماعية محدودة، فهي وجاهة ترتبط بالفاني، وهي المادة، فكل الماديات فانية؛ يقول الله -تعالى-: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)(١) فإذا أخذتم وجاهتكم من فردٍ فانٍ، هذا يعني أنّ هذه الوجاهة مرتبطة بالفاني فهي فانية، إنَّ الله تعالى يقول: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ)(٢) فإذا كانت وجاهة الإنسان بالمادة أي بالمال أو الذّهب أو بالموقع الاجتماعي، فكل هذه الوجاهات فانية، ولذلك دائماً يجب أن يبحث الإنسان عن الوجاهة عند الله -سبحانه وتعالى-، ولا يبحث عن الوجاهة الاجتماعية المادّية. إنّ إحدى الحكومات التي حكمت في التاريخ وكانت من أقوى الحكومات هي حكومة

بني أميّة، وفي ذلك الوقت كانت أقوى إمبراطورية على وجه الأرض، لكن هل تجدون اليوم لأحدٍ من بني أميّة قبراً أو ذِكراً؟

انتهت كل تلك القصور وتلك الوجاهة وذلك المقام، ولا يُعهَدُ لأحدهم قبر، إلاّ واحداً منهم وهو معاويةُ بن يزيد بن معاوية، لأنّه ارتبط بالله -سبحانه وتعالى-... يوجد اليوم أولاد لبني أمية ولديهم أحفاد موجودون في العالم، لكنهم غيّروا ألقابهم، بمعنى أنّ من ينتمي إلى بني أمية يرى أنّ هذا عار في المجتمع.

ولكن إذا ذهبتم إلى حلب إن شاء الله تعالى-، اذهبوا إلى مشهد (السقط)، و(السقط) أحد أولاد الإمام الحسين -عليه السلام- الذي كان حملاً فسقط في الطريق من كربلاء إلى الشّام، من قافلة السّبايا لسيّد الشّهداء -عليه السلام- هذا السِقط له مشهد، والمؤمنون يقصدونه للزيارة ويتقرّبون إلى الله -سبحانه وتعالى- بوسيلة ذلك السقط، وأيضاً مشهد النّقطة، حيث يوجد في حلب مشهد آخر يقال له مشهد النّقطة، وفيه روحانية عجيبة؛ حيث سقط في ذلك المكان وعلى تلك الصّخرة نقطة من دم سيّد الشّهداء (صلوات الله عليه) من رأسه الشّريف، وإذا بذلك المكان يتحوّل إلى مشهد ومقصد. إذن الوجاهة المادّيّة تنتهي، والثّروات تنتهي، والكرامة الاجتماعية تنتهي، ونحن كلّنا ننتهي، لكن الشيء الذي يبقى هو ما يرتبط بالله سبحانه وتعالى، (اللهم اجعلني عندك وجيهاً بالحسين عليه السلام) لا عند الناس لأنّ هذا غير مهم.

الحاجة إلى الوساطة

النّقطة الثّانية: إنّ الوجاهة عند الله بحاجة إلى أسباب، يعني أنّنا إذا أردنا أن نكون وجهاء عنده سبحانه (اللهم اجعلني عندك وجيهاً...) فهل نذهب إلى الله مباشرةً أم نحتاج إلى وسيط، إنَّ الوهابيين يقولون: كلّا اذهبوا إلى الله مباشرةً، لكن القرآن الكريم يقول: إنّكم تحتاجون إلى وسيط فلا تذهبوا إلى الله مباشرةً ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ

وَابْتَغُوٓاْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ)(٣). ليس هنالك مانع إذا أراد الإنسان أن يدعو الله مباشرةً، لكن لكي يكون دعاؤك مقبولاً ابحث عن وسيط، أذكر لكم ثلاث آيات من القرآن الكريم وهي تقف مقابل منطق الوهابية، فنحن دائماً نبحث عن وسائط مادّيّة حتى في عالم التّكوين، طبعاً بعنوان وسائط وليس بعنوان استقلال، فإذا أنتم أردتم الدّفء في الشّتاء هل تذهبون إلى الله سبحانه وتعالى وتقولون يا الله أعطِنا الدّفء، إنَّ الله -سبحانه- سيقول: لا أعطيكم، فأنا جعلتُ الشّمس مصدراً للدفء وإذا تريدونه فاذهبوا إلى الشمس، بمعنى إنَّ الله تعالى جعل لنا وسائط حتى في عالم التّكوين.

ففي الآية الأولى: وهي في سورة يوسف، إنَّ إخوة يوسف -على نبيّنا وآله وعليه الصلاة والسلام- (قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ) إنَّ يعقوب -عليه السلام- لم يقل اذهبوا إلى الله مباشرةً بل (قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)(٤) بمعنى إنَّهم ذهبوا إلى الله عن طريق وسيط.

أما الآية الثّانية: فإنَّ الله تعالى يقول في سورة (المنافقون): (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ)(٥).

إنّ الآية لا تقول: وإذا قيل لهم تعالوا استغفروا الله، بل تعالوا إلى الوسيط.

والآية الثّالثة: والتي تنطوي على مفارقة حسبما يذكره بعض العلماء، فيها نقطة دقيقة، حيث تقول هذه الآية: (وَإِذَا جَآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(٦)

ربما قرأتم في الأدب العربي (إذا) جملة شرطية، أداة شرط وتفيد الانتفاء عند الانتفاء، (وإذا جاءك) هذا الخطاب للنبي -صلى الله عليه وآله-: (وَإِذَا جَآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) فالنبي -صلى الله عليه وآله- يطلب لمن جاءه السّلامة من الآفات، ومن المكاره الدّنيوية والأُخروية؛ فكما يرى بعض العلماء: إنّ هذه جملة شرطية،

وتعني أنّ الإنسان إذا ذهب إلى الله -سبحانه وتعالى- عن طريق غير النبي -صلى الله عليه وآله- فإنّ النّتيجة غير مضمونة، أو هذا الدّعاء غير مضمون. إذن نحن نحتاج إلى الوسيط، وهل هنالك وسيط أقرب إلى الله سبحانه وتعالى من محمدٍ وآل محمد -عليهم السلام-، ومن أهل البيت -صلوات الله عليهم- فإنّ الإمام الحسين -عليه السلام- له موقع خاص "كلنا سفن النّجاة وسفينة الحسين أسرع"(٧).. ولذلك في هذه الفقرة من زيارة عاشوراء نقول: (اللهم اجعلني عندك وجيهاً بالحسين عليه السلام) أي الوجاهة في الدنيا والوجاهة في الآخرى.

عوامل وجاهة الإنسان عند الله تعالى

أما النّقطة الثّالثة والأخيرة التي سنختم بها هي: كيف يكون الإمام الحسين -صلوات الله وسلامه عليه- وسيلةً لنا إلى الله؟ إنّ هذا مرتبط بثلاثة عوامل، فكلّما زادت نسبة هذه العوامل، تزيد وجاهتنا أكثر عند الله في الدّنيا والآخرة.

العامل الأوّل: يرتبط بالقلب وهو المودة والمحبة.

العامل الثّاني: يرتبط بالعقل وهو الاعتقاد والمعرفة.

العامل الثّالث: يرتبط بالعمل، وهذا العامل يتعلق بالتّفاني والتّضحية.

إنّ حجم الرّابطة مع الإمام الحسين -عليه السلام- ومع أهل البيت -عليهم السلام- مهمّة جدّاً، فكلّما تكون الرّابطة مع الإمام وأهل البيت -عليهم السلام- أكثر، يكون القرب إلى الله والمقام عند الله أكثر.

إنّ الإمام الحسين -صلوات الله عليه- له كثير من الأولاد بنين وبنات، ولكن تجدون بين هؤلاء الأولاد من البنين والبنات ـ والكلام هنا في البنات ـ أنّ هنالك طفلة صغيرة لها مقامٌ متميّز، إنّها رقية -عليها السلام-، فمن ألف وأربعمائة عام وحتى هذا اليوم، كم زاروا قبر السّيدة رقية -عليها السلام- في الشام، وإلى يوم القيامة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؟ إنّها طفلة يتراوح عمرها بين الثلاثة أو الأربعة أعوام، ويعتقد

بعض العلماء أنّ الله تعالى أعطاها هذا المقام الشّامخ لمحبّتها وعلاقتها الشّديدة بالإمام الحسين -عليه السلام-، فهل يوجد في التاريخ، وهل رأيتم أنّ طفلة تموت عند والدها وعلى رأسه وفي محبّته، فعندما جاؤوا لها برأس والدها في خربة الشام، بكت وبقيت تبكي حتى ماتت، هذا هو حجم العلاقة وقوّتها.

فالسيدة رقية -صلوات الله عليها- كانت تحمل لأبيها هذا الحب وهذه العلاقة الشّديدة، إنّ الله تعالى أعطاها في هذه الدّنيا هذه الوجاهة المعنوية ومقامها مزار الملايين، ولابد أن نذهب في الآخرة ونرى مقام السيدة رقية -عليها السلام- هناك. أمّا السيدة زينب -صلوات الله عليها- صاحبة كل هذا الشّموخ وهذه العظمة في الدنيا ناهيك عن الآخرة، فإنّ علاقتها بسيّد الشّهداء -عليه السلام- لا توصف، حيث يُقال بأنّها اشترطت على عبد الله بن جعفر -رحمه الله- في زواجها أن لا تنفصل عن سيّد الشّهداء -عليه السلام- وتكون بقربه دائماً، وأن لا يمنعها من ذلك. كذلك أبو الفضل العباس -عليه السلام- وإخوته وكلهم لهم مقام عظيم، ولكن مقام العباس -عليه السلام- أعظم وحتى قبره الشّريف، حيث تشاهدون له قبراً مستقلاً، إنّ الشّهداء -عليهم السلام- كلهم في مكان تقريباً، ولكن العباس -عليه السلام- له مشهدٌ مستقل، لعقيدته ولعلاقته الشّديدة بالإمام الحسين -عليه السلام-، نعم... كلّهم كانت عندهم علاقة وكلهم لديهم حب ولكن حب العباس -عليه السلام- كان في القمة بل في قمة القمم، إنّها العقيدة والمعرفة، حيث كلّما نزيد من معرفتنا بالحسين -عليه السلام- وبالمعصومين (صلوات الله عليهم) ستكون مؤثّرة بالمودّة والمحبّة والتّفاني والتّضحية.

رأى أحدهم في المنام قصراً عظيماً للشيخ الأنصاري -رحمه الله- وقصراً أعظم للدربندي -رحمه الله-، فتعجب وتساءل لماذا قصر الدربندي أعظم من قصر الشّيخ الأنصاري مع أنّ له كل هذا المقام وهذه العظمة؟ فقالوا له، بما هو مضمون القضية: إنّ قصر الشيخ الأنصاري -رحمه الله- أعطي له بكدّ اليمين وعرق الجبين، أما قصر الدربندي -رحمه

الله- فهو عطاء الحسين (صلوات الله عليه).

مظاهر العلاقة مع الإمام الحسين -عليه السلام-

يجب علينا أن نقوّي علاقتنا بأهل البيت -عليهم السلام- عموماً، وبالإمام الحسين -عليه السلام- خصوصاً، فما هو مظهر هذه العلاقة؟

إنَّ أحد مظاهرها هو أن نقرأ (زيارة عاشوراء) كل يوم، قال لي أحد الأخوة في الكويت: إنّ أمي لم تترك زيارة عاشوراء ثلاثين عاماً.

وتوجد هنالك إحدى المؤمنات في قم تقرأ زيارة عاشوراء مرّتين كل يوم، فقيل لها لماذا ؟ قالت: أنا بدأت بزيارة عاشوراء منذ أن أصبح عمري عشرين عاماً ولذلك أقرأ زيارتين في كل يوم حتى يعادل عدد الزّيارات أيّام عمري، فالمرأة التي تصنع هكذا والمرأة التي لا تقرأ زيارة عاشوراء، هل هما سيّان عند الله؟ قطعاً كلا، فإذا تمكّنتم من قراءة زيارة عاشوراء كل يوم، اقرؤوها ولاحظوا بركاتها، وإذا لا نتمكن من ذلك، فعلى الأقل في ليالي الجمعة، نقرأها مرّة واحدة في كل أسبوع.

ربما يحاول بعض الشّباب أن يصبح يوماً مّا خطيباً في خدمة سيد الشهداء -عليه السلام-، وهذا جيد وإن لم يتمكن الإنسان بنفسه أن يكون خطيباً لأهل البيت (صلوات الله عليهم) فبإمكانه أن يُربّي أحد أولاده لذلك، بإمكان الآباء والأمّهات تشجيع الشّباب والأولاد لكي يكونوا خطباء في خدمة أهل البيت -عليهم السلام-، ففي هذا الفعل بركة، وسيكون هؤلاء الأفراد مفخرة لعوائلهم.

وهناك نوعٌ ثانٍ من الخدمة، فشخصٌ يتمكن أن يكتب كتاباً، وآخر يتمكن أن يطبع كتاباً حول أهل البيت -عليهم السلام- وحول سيّد الشّهداء (صلوات الله عليه)، وثالث يتمكن أن يقيم مجلساً في بيته لسيّد الشّهداء -عليه السلام-، فهنالك عائلة نعرفها، هؤلاء عندهم كل يوم في بيتهم مجلس حسيني دورة العام، كل يوم في بيت واحد منهم، لقد رأيت شباب هذه العائلة، فالذين عرفتهم كلهم متديّنون، إنّ الطفل الذي ينشأ في

أجواء سيّد الشّهداء -عليه السلام- وأهل البيت -عليهم السلام- طبعاً سيكون متديّنا، فشبابهم الذين رأيتهم متدينون كلّهم.

إنّ الارتباط بأهل البيت -عليهم السلام- والتّقرّب إليهم وخدمتهم والتّضحية والتّفاني في سبيلهم، هذه كلها فيها بركات دنيوية وبركات أخروية.

قال لي أحد علماء الدين قبل مدّة كلمة جميلة ـ لعل عمره سبعون عاماً أو أكثر ـ قال لي: لقد قرّرت أن أُوقِفَ ما تبقّى من حياتي وقفاً لأهل البيت -عليهم السلام-، كم بقي من عمري عشرة أعوام.. أقل أو أكثر، فقد قرّرت أن أجعلها وقفاً على أهل البيت -عليهم السلام- ونحن أيضاً علينا أن نقف حياتنا بقدر الإمكان على أهل البيت -عليهم السلام- وفي خدمتهم، إنّ في هذه وجاهة عند الله سبحانه وتعالى في الدّنيا، والأهم من ذلك أنّ فيها وجاهة عند الله تعالى في الآخرة.

هنالك رجل بعيد خارج على إمام زمانه، كان ينبغي حسب الظواهر أن يكون مخلّداً في نار جهنّم، ولكن هذا الرجل إرتبط بالإمام الحسين (صلوات الله عليه) في لحظات، وإذا به يتحوّل إلى رجل نحن جميعاً نذهب إلى قبره ونقول له: بأبي أنت وأمي، إنّه الحر، إنّ على الشّباب أن يتأمّلوا قليلاً هذا الرجل الذي ربما كان مكتوباً عليه أن يكون مخلّداً في نار جهنم، لكن علاقة ـ خلال لحظات أو دقائق ـ بسيّد الشّهداء -عليه السلام- رفعته من ذلك الحضيض إلى مقام (بأبي أنت وأمي...).

هناك رجل في الكويت كان حارساً ليليّاً، وهي مهنة عادية متواضعة، في أحد الأيام حصل على قطعة أرض، فماذا صنع؟ نحن إذا نحصل على قطعة أرض نُفكّر في الدّنيا الفانية، ولكن هذا الحارس الليلي فكّر في الآخرة الباقية، فأخذ هذه القطعة من الأرض وأوقفها حسينية، وإذا ذهبتم الآن إلى الكويت ستجدون هذه الحسينية وهي حسينية (جومدار)، إنّ الكل ذهبوا وانتهوا.. ولكن هذه الحسينية باقية.

وكانت هنالك فتاة ورثت من أمّها أرضاً، وهنالك الكثيرات فكّرنَ في الدّنيا ولكن هذه الفتاة فكّرت في الآخرة، فوقفت تلك الأرض حسينيةً، أعتقد حدثت هذا القضية قبل ثمانين عاماً أو أكثر، وإذا ذهبتم الآن إلى الكويت ستجدون أنّ هذه الحسينية باقية وإنّ تلك الفتاة خُلّدت في هذه الدّنيا وليس في الآخرة فقط، فينبغي لنا أن نحاول الحصول على هذه التوفيقات.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لذلك، وصلى الله على محمدٍ وآله الطّاهرين.

الهوامش:

١-سورة الرحمن: الآية ٢٦.

٢-سورة القصص: الآية ٨٨.

٣-سورة المائدة: الآية ٣٥.

٤-سورة يوسف: الآية ٩٧ ـ ٩٨.

٥-سورة (المنافقون): الآية ٥.

٦-سورة الأنعام: الآية ٥٤.

٧-من أخلاق الإمام الحسين -عليه السلام-: ص ٣٨.

الصلاة عند مرقد الإمام الحسين -عليه السلام-

السيد مرتضى الحسيني/ أستاذ في حوزة النجف الأشرف

الصلاة عند مرقد ومشهد الإمام الحسين -عليه السلام-، لها آثارها الكبيرة، وبركات وأجر عظيم، كما هو مصرَّح به في الرّوايات.

وسنتطرق في هذا البحث إلى الإجابة عن التّساؤل الذي ربما يُثار في أذهان الكثيرين عن كيفية ذلك؟ وما هذه المبالغات؟ إذ قد يرى البعض في ذلك نوعاً من الغلو.

وسنبدأ أوّلاً باستعراض بعض الرّوايات الشّريفة، ثم ننطلق إلى الحديث في الإجابة عن هذه الشّبهات بإذن الله -سبحانه وتعالى-.

• الصلاة عند الإمام الحسين -عليه السلام- سبب استجابة الدعاء

أ: يقول الإمام الصادق -عليه السلام-: "مَنْ صَلَّى عِنْدَهُ - أي الإمام الحسين (عليه السلام) - رَكْعَتَيْنِ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ"(١).

لاحظوا هذه العبارة الفريدة، التي تميّزت باشتمالها على العموم من جهتين: من جهة (مَنْ) التي تفيد العموم لكل وافد وزائر، من أي لون كان أو جنسية أو انتماء أو اتجاه، ومن جهة (شَيْئاً) التي تفيد العموم لكل حاجة ومسألة وطَلِبة.

• الصلاة عند الإمام الحسين -عليه السلام- تعدل حجة أو عمرة

ب: ويقول الإمام الباقر -عليه السلام-: "إِنَّ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ عِنْدَهُ تَعْدِلُ حَجَّةً، وَالصَّلَاةَ النَّافِلَةَ عِنْدَهُ تَعْدِلُ عُمْرَةً"(٢).

ج: ويقول الإمام الباقر -عليه السلام-: "مَا يَمْنَعُكَ إِذَا عَرَضَتْ لَكَ حَاجَةٌ أَنْ تَأْتِيَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، فَتُصَلِّيَ عِنْدَهُ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ تَسْأَلَ حَاجَتَكَ؟!"(٣).

هذا التأكيد على هذه المعادلة الغيبية يذكرنا دائماً، كما نقرأ في عشرات الرّوايات والزّيارات، أنّنا نشهد (أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَطَعْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)(٤)، فالإمام الحسين -عليه السلام- هو الذي أقام الصلاة.

ولابد أن نتوقف طويلاً عند الحكمة الإلهية، التي أوجدت التّرابط بين طلب الحاجات،

وبين الصلاة عند قبر الحسين -عليه السلام-؛ لكي يتجسد هذا المثلث أمامنا:

الصلاة ← عند قبر الإمام الحسين (عليه السلام) ← تساوي قضاء الحوائج.

أو يتجسد ذلك في هيئة رباعية:

الإنسان ← إذا صلى ← عند قبر الإمام الحسين -عليه السلام- ← قضى الله حوائجه.

فالعبد إذا أراد قضاء حاجته، فإنّه سيحصل على الاستجابة عبر الصلاة والدّعاء عند مرقد ومشهد سيّد الشّهداء الإمام الحسين -عليه السلام-.

وهنا ثمة محطة لابد من التّوقّف عندها قليلاً في الحديث:

"إِنَّ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ عِنْدَهُ تَعْدِلُ حَجَّةً، وَالصَّلَاةَ النَّافِلَةَ عِنْدَهُ تَعْدِلُ عُمْرَةً"(٥).

أليس هذا غلواً؟

والسؤال الذي يمكن أن يُثار: هل يمكن ذلك؟ أليس هذا غلواً؟.

الصلاة الفريضة الواحدة يصليها الإنسان، مثل صلاة الظهر، والتي هي أربع ركعات، والتي ربما تستغرق أربع دقائق تعدل حجة؟! مع أنّ أداء حج بيت الله الحرام يتطلب من الإنسان الكثير من الجهد والمال والوقت، وفي العهود الماضية كانت الرّحلة إلى الحج ربما تستغرق ستة أشهر ذهاباً وإياباً؟.

أليس في هذا مبالغة؟! أليس هذا نوع من الغلو عند الشّيعة؟!.

د: وفي رواية أخرى: "لَوْ يَعْلَمُوا مَا فِي زِيَارَتِهِ - زيارة الإمام الحسين -عليه السلام- - مِنَ الْخَيْرِ وَيَعْلَمُ ذَلِكَ النَّاسُ لَاقْتَتَلُوا عَلَى زِيَارَتِهِ بِالسُّيُوفِ، وَلَبَاعُوا أَمْوَالَهُمْ فِي إِتْيَانِهِ"(٦).

أليس في هذا مبالغة؟!

وثمة الكثير من هذه الرّوايات في هذا الحقل، لكن قبل أن نوضّح هذه المعادلة نشير إلى الإجابة عن سؤال آخر قد يخطر في الأذهان:

لماذا التّفاوت في الأجر؟

لماذا جاء في بعض الرّوايات: أنّ من يصلّي ركعتين ويطلب حاجته يُستجاب له، فيما روايات أخرى: من يصلّي أربع ركعات ويطلب حاجته، فإنّها تُستجاب؟.

هنالك وجوه عديدة للإجابة عن ذلك، نقتصر على وجه واحد الآن:

إنّ السر في ذلك يكمن في اختلاف الحالات الروحية والنّفسية عند الإنسان، وفيما إذا كان المصلي مطمئناً من النّاحية القلبية، فتقضى حاجته بالصّلاة، أو في شكٍّ منها؟!

ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى يعطي للمطمئن قبل أن يعطي للشاك، وهذه معادلة ثابتة عند الله سبحانه وتعالى. فإنَّ الإنسان المطمئن والواثق من لطف الله تعالى، يهبه الله تعالى ويمنحه، ويفيض عليه النَّصر، وأنواع العطاء بشكل أسرع، من ذلك الإنسان غير المطمئن، بل إنَّ تأخير الاستجابة تكون له بمنزلة نوع من العقوبة.

• هل يعقل أن تعدل الصّلاة عنده حجّة؟!

والسّؤال المهم: كيف أنّ الصّلاة المفروضة عند الإمام الحسين -عليه السلام- تعدل حجّة، والصّلاة النّافلة تعدل عمرة؟!.

وكيف أنّ من يطلب الحاجة بعد ذلك، فإنّ حاجته تُقضى بإذن الله -تعالى-؟!.

الأجوبة: القواعد والشّواهد والأدلّة.

والجواب أوّلاً: نبدأ بالقواعد، ومن ثم بالشواهد، وبعدها بالأدلة.

أولاً: القواعد

أ: قاعدة إمكان الغرائب

القاعدة العقلية تقول: (كلّما قرع سمعك من الغرائب، فذره في بقعة الإمكان حتى يذودك عنه قائم البرهان).

بمعنى إنّ الإنسان إذا سمع شيئاً غريباً، أو رأى أمراً تصوره غير معقول ـ بالتعبير المتعارف ـ فلا يصح له أن ينكره. فإنّ كثيراً من الأمور التي كانت غير معقولة في سالف الزّمان، فإنّها بمرور الزّمان، ومع تكامل العقل البشري تحوّلت إلى أمور بديهية.

وذلك يعني أنّ دعاوى (اللا معقولية) كثيراً ما تكون نتيجة لسلطان الجهل على الإنسان، وليس من مدركات (العقل) الذي هو النّور الإلهي المودع في الإنسان.

والأمثلة على ذلك لا تُحصى، منها: إمكانية أن يطفو الحديد على الماء، أو أن يطير الإنسان في الهواء! فقد كان تصديق ذلك مستحيلاً على من عاش قبل خمسمائة سنة مثلاً.

لكن من يعيش في عالم اليوم، فإنّه يجد ناقلات النّفط والبضائع الحديديّة، وهي تُعد بالآلاف تمخر عباب البحار في العالم، كما يشهد حركة الطّائرات المكثفة بين مختلف مدن العالم.

كذلك الحال بالنسبة للاختراعات العديدة التي غيّرت حياة الإنسان، من وسائل الاتصال والنّقل وغيرها.

إذن لا يوجد شيء ممتنع ومستحيل، إلا إذا قام دليل من العقل الصّريح القطعي على استحالته، أو من النقل القطعي السند والدّلالة والجهة.

ومن هنا فإنّ استجابة الدّعاء لا ريب أنّها ممكنة، وماذا يمنع الله القادر المتعال من أن يهب أحد عباده هذه المكرمة واللّطف تكريماً له، فكيف إذا كان سيّد شباب أهل الجنة -عليه السلام-؟.

ب: قاعدة لا قياس في الإسلام

إنّ القياس باطلٌ في الإسلام شرعاً وعقلاً، وأوّل من قاس إبليس، فمن غير الصّحيح قياس الأشياء بحجمها، أو بزمانها، أو بالجهد المبذول فيها، لوجود معادلات ذات صلة أخرى، قد تخفى علينا أصلاً أو في التّفاصيل.

ومن هنا فإنّه لا يصح قياس الحج، الذي ربما يستغرق من الإنسان أيّاماً أو شهراً كاملاً من الجهد، والأعمال العبادية المختلفة، إلى جانب بذل المال الكثير، بصلاة ركعتين عند مرقد الإمام الحسين -عليه السلام-، والتي قد تستغرق دقيقتين فقط، أو صلاة الفريضة مثل صلاة الصّبح، وأنّه كيف تعدل هذه حجة كاملة؟.

إنّ على الإنسان أن لا ينكر ذلك ولا ينفيه؛ لأنّه لا قياس في الدّين، والقياس خاطئ وباطل تماماً.

ألا ترون أنّ إبليس نطق حسب معادلات القياس العقلية، وقال لله تعالى: ما مضمونه سوف أسجد لك خمسة آلاف سنة في سجدة واحدة! بدلاً من السّجود لآدم لثانية واحدة.

وعليه لا يصح القياس عقلياً من الناحية الكيفية، ولا من النّاحية الكمّيّة؛ لأنّ الإنسان يجهل الأبعاد الحقيقية، والزّوايا المختلفة، لمقتضيات المشيئة الإلهية.

ج: قاعدة (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ)

إنّها آية صريحة من كتاب الله المجيد، فهو -سبحانه وتعالى- له عالم الخلق، كما له عالم الأمر، وله عالم التّكوين، كما له عالم التّشريع، فهل لنا من ذلك شيء؟!

فإذا كان الجواب بالنّفي، فلماذا نستنكر على الله سبحانه أن يجعل استجابة الدّعاء تحت قبّة الإمام الحسين -عليه السلام- بعد الصّلاة ركعتين، أو أن يجعل جل اسمه ثواب الفريضة التي تُصلى عند الإمام الحسين -عليه السلام- تعدل ثواب الحج، أو يقرر أن يكون ثواب النافلة عنده كثواب العمرة؟!.

د: قاعدة (لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ)

وهذه آية أخرى صريحة من كتاب الله المجيد، فهل يستطيع الإنسان الاعتراض على الله -سبحانه وتعالى-؟! مع أنّ الله -تعالى- (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)(٧).

هـ: قاعدة (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ)

فقد قال -تعالى-: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)(٨).

إنّ هذه الآية الشّديدة اللّهجة، نزلت في زمن كان الإيمان فيه أمراً صعباً جداً على بعض النّفوس، كما يصعب الآن على بعض النّفوس تصديق استجابة الدّعاء تحت قبّة الإمام

الحسين -عليه السلام-، لكنّنا في الوقت الذي نجد فيه بعض الناس لا يقبلون هذا الكلام، فإنّ أتباع أهل البيت -عليهم السلام- لا ريب يقبلونه؛ لأنّ هذه الأحاديث المرويّة بهذا الشّأن مروية عن الإمام الصّادق -عليه السلام- وسائر الأئمة الأطهار -عليهم السلام-، وهي روايات عديدة، وقد تلقّاها العلماء بالقبول على مرّ التاريخ، بل إنّها متواترة تواتراً إجمالياً دون كلام.

وأما المصدر فهو باقر العلوم وصادق أهل البيت -عليهما السلام- اللذين يُجمع علماء الشّيعة والسنة على أنّهما كانا أشد أهل العالم ورعاً وزهداً وتقوىً وصدقاً، إلى آخر الصّفات الحسنة والفضائل الحميدة.

ثانياً: الشّواهد

إنّ من الشّواهد الهامّة أنَّ كثيراً من القضايا لا تُقاس بالحجم، ولا بالعقل ـ أي العقل الظاهري لعامّة الناس ـ ولا بالجهد، أو المال المبذول.

أ: سورة التّوحيد تعدل القرآن كله

إنَّ لختم القرآن الكريم ـ كما في الرّوايات الكثيرة ـ أجراً عظيماً ـ ربما تستغرق الختمة الواحدة للقرآن الكريم من الوقت حوالي اثنتي عشرة ساعة من القراءة المتواصلة وبلا انقطاع، بينما تقول الرّوايات، عن النبي -صلى الله عليه وآله- قال: (مَنْ قَرَأَ سُورَةَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ فَلَهُ ثَوَابُ ثُلُثِ الْقُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَهَا مَرَّتَيْنِ فَلَهُ ثَوَابُ ثُلُثَيِ الْقُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَهُ ثَوَابُ جَمِيعِ الْقُرْآنِ)(٩).

وقراءة سورة قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ قد تستغرق دقيقة واحدة، فلماذا لا يحتج هذا البعض! كيف أنّ الله سبحانه وتعالى يساوي في الجهد المبذول على قراءة القرآن كله ـ بما فيه سورة التّوحيد ـ مع قراءة هذه السّورة ثلاث مرات فقط، وهي لا تستغرق إلا دقائق معدودة؟!.

نعم، الله جل اسمه (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ)(١٠)، و(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)(١١)، و(فَلَا

وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ)(١٢)، وأنّ هنالك خفايا وزوايا وأبعاداً لا نعرف منها شيئاً.

ب: صيام ثلاثة أيّام يعدل سنة!

ومن الشّواهد أيضاً: الرّواية الثّابتة عند أهل العامّة أيضاً، ففي قضية سلمان الذي كان يصوم ثلاثة أيام، صرّح النّبي -صلى الله عليه وآله- بأنّ من صام ثلاثة أيام في الشّهر فله أجر صيام الشّهر كله، وأنّ من صام طوال السّنة كل شهر ثلاثة أيام، فله أجر صيام السّنة بكامل أيّامها(١٣).

ج: ضربة علي -عليه السلام- يوم الخندق

والشّاهد الواضح والمثال الآخر: ضربة علي يوم الخندق، لا دليل أقوى من تصريح رسول الله -صلى الله عليه وآله-، في رواية لا ريب فيها نقلها الشّيعة والسّنّة: "ضربة علي يوم الخندق أفضل عند الله من عبادة الثّقلين"(١٤).

إنّها ضربة واحدة ربما استغرقت ثانية واحدة، حيث قضى فيها على عمر بن عبد ود العامري، لكنها تعدل عند الله عبادة الثّقلين، وهم الإنس والجن بما فيهم الملائكة وكلّما استتر عن الحواس، والصّلحاء على مرّ التاريخ، وهم ربما يكونوا بعشرات المليارات!.

د: الصّدقة بالخاتم أو بمليار دينار؟

الشّاهد الآخر: وهو من كتاب الله حيث يقول سبحانه وتعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)(١٥).

فإنّ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه صلوات المصلين- أخرج خاتماً من يده وهو في ركوع صلاته وأعطاه لذلك الفقير، فنزلت في شأنه آية، وصرّحت له بالولاية(١٦).

بينما ربما يدفع البعض مليون دينار، لكن لا تنزل بحقّه آية، هذا إذا لم ينزل فيه ذم! فإنّ بعض من تصدّق لم يجنِ إلا المذمّة. وهذا شاهد على أنّ القضايا لا تقاس بالحجم أو

الجهد أو غير ذلك، بل لها ملاكات خاصّة يعلمها من (لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ)(١٧)، وهو الله -تبارك وتعالى-.

هـ: إطعام ثلاثة أيّام أو إهداء سبعة بساتين؟

والشّاهد الآخر: آية كريمة أخرى نزلت بحق أهل البيت -عليهم السلام-، وهي: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)(١٨).

وموجز شأن النّزول: إنّ الإمام أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والإمام الحسن والإمام الحسين -عليهم الصلاة والسلام-، صاموا ثلاثة أيام ـ في القضية المعروفة ـ وعند الإفطار أعطوا طعامهم للفقير في اليوم الأوّل، وفي اليوم الثاني جاءهم مسكين فأعطوه طعامهم أيضاً، وفي اليوم الثّالث أعطوه للأسير، فنزلت في حقّهم هذه الآية الكريمة المباركة(١٩).

بينما أهدى ذلك الشّخص الآخر سبعة بساتين لرسول الله -صلى الله عليه وآله-، ولكن لم تنزل في حقّه آية قرآنية واحدة(٢٠)!.

و: طاقة الانشطار الذّرّي والنّووي

والأمر في عالم التّكوين كذلك أيضاً: إذ نجد أنّ الذّرّة البسيطة إذا انشطرت فإنّها تحدث انفجاراً ذرّيّاً مدمّراً، أو إذا اندمجت فإنّها تحدث انفجاراً نووياً هائلاً، مع أنّها ذرة وجزء لا يُرى بالعين المجرَّدة، لكنها يمكن أن تتحوّل طاقة جبّارة كبيرة جدّاً.

إذن القضايا لا تُقاس بالمظهر، ولا بالحجم، ولا بالشكل، ولا بالمظاهر الطّبيعيّة التي نراها، سواء في عالم التّشريع أم في عالم التّكوين، بل إنّ المقاييس الواقعية عند الله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: الأدلّة

إنّ كلام الإمام الباقر والإمام الصادق -عليهما الصلاة وأزكى السلام- بحدّ ذاته يعتبر دليلاً كافياً، وحجّة وافية، وبيّنة شافية واضحة، إلا أنّنا مع ذلك نستعرض لكم بعض

الأدلّة من القرآن الكريم، والأدلة كثيرة، منها:

الدّليل الأوّل: آية المودّة

يقول تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)(٢١).

في هذه الآية ثمّة التفاتة دقيقة، فإنَّ الرّسول الأكرم -صلى الله عليه وآله- أراد أجراً آخر من المسلمين على أدائه الرِّسالة وطالب به، و(الرسالة) هي أعظم وأثمن ما في الكون، ونبيّنا هو أفضل رسل الله، وقد بذل وتحمَّل جهداً فوق طاقة البشر طوال سنين، في إبلاغ رسالات الله سبحانه وتعالى.

فإنَّ المسلمين في تلك القضيّة الشّهيرة، حينما جاءوا إليه ليعطوه أجراً ماديّاً على جهوده وأتعابه وتضحياته في سبيل إبلاغ رسالته، فرفض النّبي -صلى الله عليه وآله- ذلك، ونزلت الآية الكريمة: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)(٢٢).

وهنا نسأل: لماذا لم يطلب النّبي الأكرم -صلى الله عليه وآله- من المسلمين أن يحجّوا نيابةً عنه على مرّ السّنين ـ مثلاً ـ ويهدوا ثوابه إليه؟، أو أن يصلّوا ويصوموا نيابةً عنه؟، أو أن يبذلوا للفقراء والأيتام مبالغ على مرِّ السّنين ويهدوا ثوابها له؟.

إنَّ الآية الكريمة صريحة وواضحة، في أنَّ الأجر المُطالب به هو مودَّة قربى رسول الله -صلى الله عليه وآله-، و أليس الإمام الحسن والإمام الحسين -صلوات الله عليهما- هما أقرب قربى رسول الله؟!.

إن كان هذا حق ـ وهو حق ـ فلماذا يستكثر البعض إذا صرّحت الرّواية بـ: إنَّ الصلاة عند الإمام الحسين تعدل حجّة أو عمرة، أو أنَّ حاجة من صلَّى عند قبره مقضية بإذن الله سبحانه(٢٣)؟!.

إنَّ قضيّة (أداء الصّلاة الفريضة عند مرقده الطّاهر، تعدل أجر حجّة أو عمرة)، فهي مصداقٌ ظاهر لمودّة الإمام الحسين -عليه السلام-، إذ عندما تذهب إلى قبره الشّريف وتصلّي عنده، فهذا يعني أنّك أظهرت مودّتك لسيّد الشّهداء -عليه السلام-، ولرسول

الله -صلى الله عليه وآله-.

بل نقول أكثر من ذلك: إذا لم يدفع الإنسان أجر الرّسالة، فإنّه خائن، وعمله غير مقبول، وهو آكل للحرام، وهو جاني من أعظم الجناة.

البخاري: من لم يدفع الأجر، فالرسول -صلى الله عليه وآله- خصمه

والدليل على ذلك هو ما تذكره كتب العامّة بذاتها، و "صحيح البخاري" بالذات، في كتاب البيوع والإجارة، و "سنن ابن ماجه" في كتاب الرهون، وغيره، بأنَّ من لم يؤدِّ أجر الأجير فهو خائن وظالم.

ونصّ الرّواية: عن الرَّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- أنَّه قال: (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة...)، وعدّ منهم رجلاً استأجر أجيراً فاستوفى منه، ولم يعطه أجره(٢٤).

وهنا موطن الشَّاهد الجلي الواضح، إذ في هذه القضيّة العادية يقول النبي -صلى الله عليه وآله-: أنا خصمٌ لمن يرفض إعطاء أجر الأجير الذي عمل عنده، فما بالنا بمن لم يؤدِّ أجر رسول الله -صلى الله عليه وآله- نفسه، وهو أجره على أداء الرسالة؟!.

ألا يكون الرسول-صلى الله عليه وآله- خصمه يوم القيامة؟

بل ومن قبله: ألا يكون الله تعالى خصمه؟

وذلك مما لا مدفع له؛ لأنَّ الآية الشَّريفة صرَّحت بكلمة (الأجر): (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)(٢٥).

وأمّا فضل الصَّلاة عند الإمام الحسين -عليه السلام-، فإنَّه من مصاديق رواية البخاري، إذ يحفظ المرء في ولده، بل (حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ)(٢٦)، فبرّه برّ له، وإكرامه إكرام له -صلى الله عليه وآله-، وعلى فرض التنزل فإنّه (قياس) من أقوى أنواع القياس، وأهل العامة يقبلون أدنى أنواع القياس فكيف بأعلاها؟!.

والحاصل: إنَّ من لم يدفع أجر رسول الله -صلى الله عليه وآله- فهو خائن، وغير مقبول عمله ومأثوم، بل أنَّ التّشكيك بهذا الأمر أيضاً يُعتبر من التجرّي على مقام رسول الله

-صلى الله عليه وآله-، وأهل بيته-عليهم السلام-.

والصلاة عند مرقد ولده وسبطه -سلام الله عليه-، لا ريب أنّها من مصاديق تلك المودّة في القربى، خصوصاً إذا التفتنا إلى أنّ نفع وفائدة الصلاة تعود إلى المصلّي نفسه.

والخلاصة:

إنَّ من البراهين السَّاطعة والواضحة على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾(٢٧)، مما يعني أنّ مودَّة قربى رسول الله -صلى الله عليه وآله-، هي أفضل من عامَّة الصّلاة والصّيام على مرّ التاريخ، ومن هنا كانت الصّلاة عند قبر الحسين -عليه السلام- تعدل أجر حجة، بل أكثر من ذلك بكثير.

وأنَّ هذا يُعتبر قطرة في بحر فضائل سيِّد شباب أهل الجنة -عليه أزكى الصلاة والسلام-. هذا هو الدليل الأول، وسنذكر بقية الأدلة في ما بعد إن شاء الله -تعالى-.

الهوامش:

١- مستدرك الوسائل: ج١٠ ص٢٦٣ .

٢- وسائل الشيعة: ج١٤ ص٥١٨ .

٣- وسائل الشيعة: ج١٤ ص٥١٨ .

٤- مصباح المتهجد: ص٧٢٠-٧٢١.

٥- وسائل الشيعة: ج١٤ ص٥١٨ .

٦- بحار الأنوار: ج٤٥ ص٢٢٥ .

٧- سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

٨- سورة النساء: الآية ٦٥.

٩- مستدرك الوسائل: ج٤ ص١٩٣-١٩٢.

١٠- سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

١١- سورة الأعراف: الآية ٥٤.
١٢- سورة النساء: الآية ٦٥.
١٣- بحار الأنوار: ج٣٩ ص٢٥٨-٢٥٧.
١٤- بحار الأنوار: ج٣٩ ص٦-١.
١٥- سورة المائدة: الآية ٥٥.
١٦- تفسير مجمع البيان: ج٣ ص٣٦١-٣٦٣ سورة المائدة.
١٧- سورة الأعراف: الآية ٥٤.
١٨- سورة الإنسان: الآية ٨.
١٩- تفسير مجمع البيان: ج١٠ ص٢٠٩-٢١٠ سورة الإنسان.
٢٠- فتوح البلدان: ص١٨.
٢١- سورة الشُّورى: الآية ٢٣.
٢٢- سورة الشُّورى: الآية ٢٣.
٢٣- وسائل الشيعة: ج١٤ ص٥١٨.
٢٤- صحيح البخاري: ج٣ ص٤١.
٢٥- سورة الشُّورى: الآية ٢٣.
٢٦- بحار الأنوار: ج٤٣ ص٢٧١-٢٧٠.
٢٧- سورة الشُّورى: الآية ٢٣.

السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين
السلام عليك
يا ساقي عطاشا
كربلاء

واقعة كربلاء وتر لا يحده زمان

الشيخ عبد الرضا الحمود/ باحث إسلامي.

الثّورات في الإرث الإنساني مرهونة بزمانها، متجانسة مع مكان معيّن، محبوسة بظروفها الخاصّة، وتداعياتها رهينة بحياة أشخاصها، وحين تتغير المعادلة بتجدّد المعطيات والتّدافعات تجف أمواج هذه الثورة ويهفت أوارها وهذه حكمة أودعها الله-تعالى- في هذه الحياة الدنيا كما قال في محكم كتابه الكريم: (فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)(١)، (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)(٢)، ولكن الله-سبحانه- أفرد نهضة الإمام الحسين -صلوات الله وسلامه عليه- من هذه القوانين وجعلها إتماماً لحجّته، وبلاغاً مفحماً، فهي وإن سُمّيت ثورة من باب التّشابه مع الثورات إلّا أنّها انبلاجة كونية وفتق في ربا الحدثان.

نعم هي نهضة يتيمة في الزّمان، فريدة في الدّهر، وناهضة ببناء طويل المدى وغائر في التّأثير إلى جذور العقيدة، وأسس النّظم، وسر السياسة، وصميم القصد، وتتضمّن معاييراً للتخطيط والقيادة والحقوق والقانون بل الحياة على عرضها وطولها.

نهضة ولكن هي المثال القدوة، هي تمام الحجة لله-تعالى- على البشر هي مستنبط المعالي والكمالات العلمية وليست في النّاحية النّظريّة فحسب بل كل النّواحي العملية والفعلية والتّطبيقيّة والواقعية والتّنفيذيّة فهي حُجّة تامّة وشاملة ومدرسة نقشت في ذهن العالم والتاريخ البشري أحرف لا تبارح الزّمان ولا المكان لأنّها تميّزت وتفرّدت وسكبت الزّمان في قالبها العظيم «لا يوم كيومك يا أبا عبدالله».

هل رأيتم ثورة تضل ناصعة مدى الدّهر لا يكسوها غبار النّسيان؟

هل رأيتم ثورة تشتمل حكمة الماضي والحاضر؟

هل رأيتم ثورة لا تموت ولا ينفد زمانها ولا يهلك أشخاصها؟

نعم فقد قالت العقيلة زينب -عليها السلام- ليزيد -لعنة الله عليه-. «فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا»

وهذه آلاف الثّورات هلكت وتحنطت في كتب التاريخ والأكثر منها نسيت وأفل عنها حضورها وكأنّها لم تكن! ذلك لأنّها صُنعت لظرف قد تغيَّر ومن أجل هدف قد بهتت قيمته ونزر شأنه فقد انتهى دورها، وتصرّمت رجالها، ماعدا نهضة الحق الحسينية حاضرة نابضة برغم أعدائها والمتضرّرين من نورها من الظلاميين والظالمين ومرتزقة إبليس؛ وذلك كونها للظالم خصماً وللمظلوم عوناً.

هذه مقدّمة عامّة ولكن فلننظر إليها من قريب في البعد الولائي فما تأثير هذه النّهضة المباركة علينا؟ ولعلّي أرمق أنَّ حجم العطاء الحسيني بحجم لا يوجز في مقالة فانزويت شطراً نلامسه في هذه الأيام المقدّسة من تواجدنا وتداعينا لبيوتات الحسين وكيف أنَّنا قد ورثنا نعمة يجب أن ننظر لها بشكرنا لله وحمده؛ لكي ننهل من عطائها وقد عرفنا من أي بحر سقينا وكم من الخير لقينا؟

فالحسين -صلوات الله وسلامه عليه- صاحب الكفّة العظمى في صب سيل الثّواب على البريّة كغمامة ينهمر هتونها وابل صبا في كل شعيرة من شعائر ذكراه الفجيعة.

وهنا أسرد بعض النِّعم الحسينية وباختصار شديد:

- الحضور العبادي استجابة للصادق -عليه السلام- بإحياء أمر أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم.
- تزايد فرصة استجابة الدّعاء لإخلاص الدّاعي وحرارة أجواء التّوسّل بالمعصومين -صلوات الله وسلامه عليهم-.
- التّواصل الاجتماعي السّليم والخير البيني للحضور المؤمن.
- التّجمع في عزاء الحسين -عليه السلام- علاج نفسي وروحي.
- الانصهار في هدف موحّد يكيل في التّواجد الديموغرافي ويعزز الظهور المذهبي.

- وكثير من الفوائد الدنيوية والأخروية والتي إن فات منها شيء فلن تفوت كلّها حتماً.

وهذه بعض الرّوايات أكتفي بسردها عبر هذه الورقة من باب الذِّكرى لأنّكم لا ريب قد نعمتم بطريقة أو بأخرى بسماعها أو قراءتها يوماً ما.

من الذي يحضنا على شعائر الحسين معبراً عن عظمة تلك الشّعائر وأهمّيتها للدين والناس؟

عن الإمام الصّادق -عليه السلام-: " أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا فإنَّ من جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب"(٣) والرسول الأكرم -صلوات الله عليه وآله- كذلك في معرض إشادته في البكاء على الحسين يقول:

حدّث أبو ذر الغفاري عن النبي -صلى الله وعليه وآله-: " إذا استطاع أحدكم أن يبكي فليبك ومن لم يستطيع فليستشعر قلبه الحزن وليتباك فإنَّ القلب القاسي بعيد من الله "(٤).

ويقول الرّسول الأكرم -صلى الله وعليه وآله-: "الحسين مصباح الهدى وسفينة النَّجاة"(٥).

وقال الإمام الرضا -صلوات الله وسلامه عليه- بتفجع وحرقة:

"إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهلية يُحرّمون فيه القتال فاستُحلَّتْ فيه دماؤنا، وهُتكتْ فيه حرمتنا، وسُبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأُضرمتْ النيران في مضاربنا، وانتُهب ما فيها من ثقلنا، ولم تُرْعَ لرسول الله صلّى الله عليه وآله حرمة في أمرنا."(٦) .

وقال أيضاً وهو يصوغ أسلوب المأتم ومضمونه:

"إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا، بأرض كربٍ وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبكِ الباكون، فإنّ البكاء يحط الذّنوب العظام". (٧)

ثم قال واصفاً حال الإمام الباقر -صلوات الله عليهم أجمعين- في أيّام المحرم:

«كان أبي صلوات الله عليه إذا دخل شهر المحرّم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب

عليه حتّى يمضي منه عشرة أيّام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قُتِلَ فيه الحسين صلوات الله عليه». (٨)

وقال الإمام الصادق -صلوات الله وسلامه عليه- موضّحاً لهدف الإمام الحسين-عليه السلام- وأنّه طالب للآخرة ومنفذ لأمر الله: «كتب الحسين بن علي «عليهما السلام» إلى محمد بن علي -عليه السلام- من كربلاء:

بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي «عليهما السلام» إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أما بعد فكأن الدّنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل، والسلام». (٩)

وورد في تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين - المحسن إبن كرامة - ص ١٠٣

وروى السيد أبو طالب: بإسناده عن علي «صلوات الله وسلامه عليه»، قال: قال ليلة صفِّين: " يا أيُّها الناس، لا يفتنكم الهدى، يا أيُّها الناس، لا تأفكوا عن الهدى، يا أيُّها الناس، لا تقاتلوا أهل بيت نبيّكم، فوالله ما سمعت بأمة آمنت بنبيِّها قاتلت أهل بيت نبيها غيركم ورواه ابن سبط الجوزي في تذكرة الخواص»

وذلك مقدمة للنصح وتبين السبيل من قبل واقعة الطّف حتى تتم الحجَّة ويظهر الحق وهذا سبيلهم (عليهم السلام) في النُّصح وتمام البلاغ والحجة.

السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلَّت بفنائك عليكم منِّي جميعاً سلام الله، السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام ورحمة الله وبركاته.

الهوامش:

١- سورة البقرة/ الآية: ٢٥١.

٢- سورة الحج/ الآية: ٤٠.

٣- وسائل الشيعة/ ج: ١/ باب: ٦٦.

٤- مقتل الحسين-عليه السلام-/ المقرم/ ص ١٠٠.

٥- بحار الأنوار/ ج ٩١/ ص ١٨٤.

٦- المصدر نفسه/ ج ٤٤/ ص ٢٨٣.

٧- المصدر نفسه/ ج ٤٤/ ص ٢٨٤.

٨- أمالي الصدوق / ص ١٩٠.

٩- كامل الزيارات/ ص ١٥٨.

يا حسين

الثورة الحسينية و دروس التغيير

محمد يوسف/ صحفي.

ملحمة كربلاء المقدَّسة تحوَّلت الى مسيرة تغييرية امتدَّت مع الزَّمن، كما امتدَّت الى آفاق بعيدة، وذلك؛ حيثَ لكلِّ شعب أو أمَّة رموز في مختلف جوانب حياتها، وكلُّ رمز من هذه الرّموز يقوم بوظيفة تجميع وتركيز التجربة في الجهة الخاصَّة به، وملحمة كربلاء تحوّلت الى رمز للنهضة الأصيلة التي جمعت في واقعها كلَّ شروط وعوامل وخصائص النَّهضة الشّرعية، بل لقد استوعبت هذه التجربة كلَّ دروس الرِّسالة السّماوية عبر التاريخ، حتى في غير مجال الثورة فيما يتعلّق بسائر مجالات الحياة، والسّبب في ذلك بسيط وواضح جدَّاً وهو أنَّ قلم الصِّراع هو أفضل قلم يكتب بحبر الدَّم على لوح الزَّمن ما لا يمكن للمتغيرات أن تنال منها شيئاً، وحينما يترسَّخ مبدأ وتتكرَّس عقيدة تتجذَّر قيمه بدماء الشهداء في أوج المعركة بين الجاهلية والإسلام، فلابُدَّ أن يبقى ذلك المبدأ وتبقى تلك العقيدة راسخة شامخة دائماً، وكربلاء ليست مدرسة للبطولة الثّورية فقط، وإنَّما هي أيضاً مدرسة لبطولة الإنسان، حينما يخرج من ذاته، من شح نفسه من حدوده الضيقة ليملأ الدّنيا شجاعة وبطولة.

كربلاء مدرسة الوفاء، مدرسة الدّعاء والتَّضرُّع، مدرسة الحب والتَّضحية، مدرسة العلم والتَّقوى، بالإضافة الى أنَّها مدرسة الجهاد والاستشهاد، وبالتالي فإنَّ كربلاء رمز لكلِّ ملحمة.

ولذلك فإنَّ تعظيمنا وتقديرنا لهذه الملحمة إنَّما هو تكريم لكلِّ نهضة رسالية أصيلة، ولكلِّ دم زكي طاهر أُريق في أيّة ملحمة رسالية تقوم على أسس إلهية.

إنَّ ما نستلهمه اليوم من النَّهضة الحسينية الخالدة هو مجموعة من المعطيات التي لا يمكن حصرها في زاوية معيَّنة، بل أثبتت وبجدارة أنّه لا توجد ثورة أو نهضة، أو ملحمة يمكن أن تصل إلى مستوى ذلك النُّهوض المقدَّس.

ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جلُّه، لذلك يمكن لنا أن نذكر بعض تلك الأهداف والدُّروس التي يمكن أن نستفيدها من هذه الثّورة المباركة:

الدرس الأوَّل: إنَّ حركة الإمام الحسين -عليه السلام- بالدرجة الأولى هي حركة الامتثال للحكم الشَّرعي، أي أنَّها وظيفة شرعية نهض بها الإمام الحسين -عليه السلام- وعرف الموقف منها، حيث كان هناك إخبار بحدوث هذه المعركة من الرسول الأعظم محمد -صلى الله عليه وآله- ومن أمير المؤمنين -عليه السلام-، أمَّا تكليف الإمام الحسين -عليه السلام- بالخروج هو تكليف إلهي بهذه النَّهضة بوجه الطاغية يزيد، حيث قال الإمام -عليه السلام-: " **أمَّا بعد فقد علمتم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته: من رأى سلطاناً جائراً مستحلّاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغيّر بقول ولا فعل، كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله وقد علمتم أنّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتولّوا عن طاعة الرّحمن، وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرَّموا حلاله، وإنِّي أحقُّ بهذا الأمر لقرابتي من رسول الله -صلى الله عليه وآله-. وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم، أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن وفيتم لي ببيعتكم فقد أصبتم حظّكم ورشدكم، ونفسي مع أنفسكم وأهلي وولدي مع أهاليكم وأولادكم، فلكم بي أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهودكم وخلعتم بيعتكم، فلعمري ما هي منكم بنكر لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمِّي، والمغرور من اغترّ بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم، ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم والسلام**" (١).

ولذلك حتَّى لا يقال أنَّ هذه الحركة حركة انفرد بها الإمام الحسين -عليه السلام-، أخبر عنها النبي الكريم-صلى الله عليه وآله- في أكثر من موقف، وموطن، وبالتالي هنا درس أنَّه لو شخصت مِثل هذه الظروف في أي زمن من الأزمنة كما هي نفس الظّروف في زمن الإمام الحسين -عليه السلام- فالإنسان لابد أن يكون مكلَّفاً بما كلِّف به سيّد الشّهداء -عليه السلام- ولا بد أن يؤدِّي الوظيفة بناءً على تشخيصه للظروف

وتشخيصه للموقف الشّرعي الذي يملي عليه المسؤولية وهذه هي النّقطة المهمّة، بل من أهم معطيات هذه النّهضة المباركة، فخرج الإمام -عليه السلام- بناءً على تشخيصه للحكم الشّرعي والتّكليف الشرعي، وهذه نقطة مهمَّة؛ لأنَّ إيمان الإنسان لا يكون متكاملاً إلّا إذا كانت كلُّ تحرُّكاته وفق الأحكام الشَّرعيَّة.

قال الله -سبحانه-: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)(٢) أي أنَّ الحكم شرعي المفروض لا بد أن يمتثل حتَّى لو أدَّى إلى الهلاك، وهذه من أهم المعطيات التي نستفيدها من هذه النَّهضة المقدَّسة المباركة.

الدَّرس الثَّاني: من المعطيات المهمّة للنهضة الحسينية أنَّها كانت تهدف بالدَّرجة الأولى إلى قلع جذور الظّلم، والجور، والفساد، حيث أنَّ الفساد قد تكون له عوامل، وأسباب كثيرة لكن بعض الأسباب أصل وجذر، وبعض الأسباب فروع، ولو نظرنا وتدبَّرنا في كلمات سيّد الشّهداء -عليه السلام- كان يقصد في كلامه وفي خطبه رأس الظلم وهو كل من أسَّس الظّلم والاضطهاد في كلِّ زمن وعصر، وممّا لا شكَّ فيه أنَّ الإمام الحسين -عليه السلام- كان يعيش في محيط، وذاك المحيط فيه السُّرَّاق، وفيه الفسقة، وفيه علماء السّوء، وهناك ولاة ظالمون موجودون في ذلك المجتمع، لكن أغلب الخطابات التي وجَّهها الإمام-عليه السلام- موجهه إلى رأس الفساد وهو يزيد ابن معاوية وهذه نقطة مهمَّة ومن المعطيات والدروس المهمة جداً لهذه النهضة المقدسة الحسينية المباركة.

كان الإمام الحسين عليه السلام قد كتب إلى جماعة من أشراف البصرة كتاباً مع مولى له اسمه سليمان ويكنّى أبا رزين، يدعوهم إلى نصرته ولزوم طاعته، منهم يزيد بن مسعود النهشلي والمنذر بن الجارود العبدي فجمع يزيد بن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني سعد فلما حضروا قال: **" يا بني تميم كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم ؟ فقالوا: بخ بخ أنت والله فقرة الظهر، ورأس الفخر حللت في الشَّرف وسطا، وتقدمت فيه فرطا، قال: فإنِّي قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاوركم فيه، واستعين بكم عليه، فقالوا: إنّما والله**

نمنحك النَّصيحة، ونحمد لك الرأي فقل نسمع. فقال: إنَّ معاوية مات فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإنَّه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضعت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمرا ظن أن قد أحكمه، وهيهات والذي أراد، اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل، وقد قام يزيد شارب الخمور، ورأس الفجور، يدعي الخلافة على المسلمين، ويتأمّر عليهم مع قصر حلم وقلة علم، لا يعرف من الحق موطئ قدمه. فاقسم بالله قسما مبرورا لجهاده على الدين، أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي ابن رسول الله صلى الله عليه واله ذو الشرف الأصيل والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسنه وقدمته وقرابته يعطف على الصغير، ويحنو على الكبير، فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، ولا تعشوا عن نور الحق، ولا تسكعوا في وهدة الباطل، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ونصرته، والله لا يقصر أحد عن نصرته إلا أورثه الله الذل في ولده، والقلة في عشيرته، وها أنا قد لبست للحرب لأمتها، وادرعت لها بدرعها من لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله رد الجواب(٣).

الدَّرس الثَّالث: إنَّها نهضة أرادت أن تبني، وترجع الفرد المسلم إلى شخصيته الإيمانية، حيث أنَّ الشّخصية الإيمانية مسخت في العهد الأموي، بل وحتَّى المجتمع لا يمكن أن يطلق عليه اسم المجتمع الإسلامي، إذ لا يرى واقع الإيمان إلَّا في أفراد قلة، فواقع تلك المجتمعات تحمل الإسلام اسماً لا تجسيداً، ولكن الواقع العملي، والواقع التَّطبيقي، والعقائدي، والفكري واقع ممسوخ، وهذا ما نقرأه في التَّاريخ، حيث أنَّ حبَّ الدنيا، وحب المال، والاستعباد، والظلم، كلُّ هذه الأمور تتنافى مع الشّخصية الإيمانية، وكل هذا موجود آنذاك في عصر الإمام الحسين -عليه السلام-.

إنَّ سيّد الشّهداء -عليه السلام- ثار حتى يعيد للأمة لشخصيتها الإيمانية حيث قال لهم

الإمام -عليه السلام- "ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان ! إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إذ كنتم أعراباً"(٤).

الدَّرس الرابع: من المعطيات المهمّة النَّظرية السِّياسية عند سيّد الشّهداء -عليه السلام- وهي أنَّ الحاكم لابد أن يتميّز بمميزات، ومن هذه المميزات أن يكون تقيّاً، صالحاً، ورعاً، وعادلاً في حكمه، وسيرته، وهذه النظرية تعارض النظرية عند بعض المسلمين وهي أنَّ الأهم في الحاكم أن لا يبوح بالكفر، وإن ظلم، وجار وتجب طاعته، وتجب بيعته، وهذا مفهوم خطير ويجب إعادة النظر في مثل هذه الرؤية فالنظرية السياسية عند الامام الحسين -عليه السلام- أن يتوفر في الحاكم شروط معينة، وهذا من المعطيات المهمة لنهضته -عليه السلام-.

الدَّرس الخامس: من معطيات هذه النَّهضة أنَّ الإنسان عندما يتغيّر، ويتحرّك نحو التغيير لا بد أن تكون نظرته للتغيير نظرة بعيدة المدى، ولا تكون قصيرة المدى، وأنَّ الإمام الحسين -عليه السلام- في نهضته هذه ما كان ينظر إلى المكاسب الآنية في حياته، وهذا معنى الانتصار الحقيقي والواقعي الذي حققه سيد الشهداء -عليه السلام- حيث أنَّها نهضة ناجحة؛ لأنَّ الأهداف تحقّقت وإحدى العوامل المهمة في تحقّقها النّظرة البعيدة .

إنَّ هذه المبادئ والمعطيات التي بقت خالدة، واستطاعت على مدى أكثر من ألف سنة أن تظل متّقدة أكّدت على انتصار الدَّم على السَّيف، وانتصار المظلوم على الظّالم، وانتصار المبادئ والقيم على التّخلّف والفوضى.

لقد أكّدت أنَّ الحق لابد أن ينتصر مهما تجبَّر الطّغاة، وأنَّ العِبر التي نلمسها من النهضة الحسينية المباركة لاتزال تحمل الكثير من الدُّروس والمواقف المهمّة، والتي نحتاجها اليوم كي نتعرف على الرحمة الإلهية، والإسلام الحقيقي الذي حفظه الإمام الحسين -عليه السلام- من خلال ثورة عاشوراء التي علَّمتنا أنَّ الدَّم الطاهر أقوى من كلِّ

أسلحة الظُّلم، والطُّغيان.

وما زيارة الأربعين إلا تجسيد لكل هذه المعطيات، وإعلانها صريحة بوجه كلِّ الطّغاة أنَّ الحسين -عليه السلام- عِبرة وعَبرة.

الهوامش:

(١) بحار الأنوار / ج ٤٤ / ص ٣٨٢.

(٢) سورة القصص/ الآية: ٦٨.

(٣) بحار الأنوار / ج ٤٤ / ص ٣٣٧.

(٤) المصدر نفسه / ج ٤٥ / ص ٥١.

الاستنصار الحسيني

صباح الصافي/ باحث حسيني

في هذا البحث سنحاول أن نقف على تحليل أبرز المعالم في نصوص الاستنصار لأبي عبد الله الحسين -صلوات الله وسلامه عليه-، وسيدور البحث على محورين أساسيين:

المحور الأوّل: جملة من الشّواهد والنّصوص التاريخية التي من خلالها سنقف على استغاثات استنصارات الحسين -عليه السلام-.

المحور الثاني: قراءة تحليلية لأبرز ما ورد في هذه النّصوص الاستنصارية لسيّد الشّهداء -عليه السلام- وفيها قيم عالية نحتاج أن نعيدها في مجتمعنا، ونفوسنا، وحياتنا؛ لأنّها هي التي تضع المؤمن على خط الاستقامة.

وقبل الدخول في المحورين هناك مقدمة:

يذكر الشيخ جعفر التوستري -رضوان الله عليه- وهو من العلماء الفقهاء الذين تميّزوا بعلاقته الخاصّة بالإمام الحسين -عليه السلام-. وقد ألّف كتاباً أسماه (الخصائص الحسينية)، وجدير بنا جميعاً أن نطالع، ونتأمّل هذا الكتاب؛ لأنّه يزوّدنا بثقافة حسينية معمّقة تشدّنا بولاء صادق، وبمعرفة دقيقة لسيّد الشّهداء أبي عبد الله الحسين-صلوات الله عليه-.

ذكر في ذلك الكتاب أنَّ الإمام الحسين استنصر مرّات عديدة، وتبدأ من تحرّكه في المدينة إلى آخر لحظات حياته في كربلاء، وكان-صلوات الله عليه- يستنصر ويستغيث بأساليب متعدّدة، وبأشكال مختلفة.

إنَّ الاستغاثة الحسينية، والاستنصار الحسيني يأتي حلقة ضمن سلسلة نجدها في مشروع الهداية عند الأنبياء-عليهم السلام- فهم يدعون أتباعهم للنصرة، والوقوف إلى جانبهم، ودعم مشروعهم بالهداية، فنبي الله عيسى-على نبينا وآله وعليه صلوات الله- يحكي الله -تبارك وتعالى- قوله في كتابه الكريم: **(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا**

ظَاهِرِينَ)(١). وقال -تبارك وتعالى-: (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)(٢).

نجد في هذه المواطن يدعو النبي لنصرته، والنّصرة هذه تصب في أصل العلاقة بالله -سبحانه وتعالى- وليس إلى نصرة شخصية أو ذاتية إنّما يقول: من أنصاري إلى الله يريد النصرة في الله-تعالى-، وفي سبيل الله-تبارك وتعالى- ودعم مشروع الهداية الإلهية، وسيّد الشّهداء الحسين-صلوات الله عليه- باعتباره وريث للأنبياء-سلام الله عليهم-، وهذا ما نجده في نصوص المعصومين-عليهم السلام-:" السَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ اِبْراهيمَ خَليلِ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ مُوسى كَليمِ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ عيسى رُوحِ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ مُحَمَّدٍ حَبيبِ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ عَلِيٍّ وَصِيِّ رَسُولِ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا وارِثَ الحَسَنِ الرَّضِيِّ، اَلسَّلامُ عَلَيكَ يا وارِثَ فاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ..."(٣)

فكما استنصر النبي عيسى-عليه السلام- واستنصر الأنبياء-عليهم السلام- استنصر الإمام الحسين -صلوات الله عليه-.

هذا أولاً، وثانياً فإنَّ النّصرة لها تأثير بالغ في ربط الأتباع بالمتبوع، وفي ربط القاعدة التي تتفاعل مع القائد، ومن خلال هذه الروابط ندخل في المحورين الأساسين:

المحور الأوّل: نماذج من استنصارات الإمام الحسين-صلوات الله عليه-:

أوّلاً: في المدينة، حيث دعا الحسين -عليه السلام- بدواة وبياض وكتب هذه الوصية لأخيه محمد بن الحنفية: " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي صلى الله عليه وآله أريد أن

آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. قال: ثم طوى الحسين الكتاب وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمد ثم ودعه وخرج في جوف الليل"(٤).

وهنا الإمام الحسين-عليه السلام- طلب النصرة، وطلب إرجاع الحق إلى أهله، وأن يكون الحق والارتباط به من باب الأولوية عند الحسين -عليه السلام- لا عند غيره.

الاستنصار الثّاني: في مكة قبل أن يخرج صبيحة اليوم الثّامن خطب خطبة جاء فيها العديد من المطالب، والمعارف التي ذكرها الإمام الحسين-عليه السلام- ترتبط بحقّه، ومشروعه، جاء في تلك الخطبة قوله -عليه السلام-: "الحمد لله، وما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله وسلم خُطَّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات، بين النّواويس وكربلا، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقربهم عينه، وتنجز لهم وعده، من كان فينا باذلاً مهجته، موطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنّي راحل مصبحا إن شاء الله.."(٥).

نلاحظ الإمام الحسين -عليه السلام- يطلب في هذا الخطاب من يبذل له مهجته، والاستنصار هنا طلب جاء بصيغة مختلفة، تؤكد أن يقدِّم المؤمن أغلى ما يملك للحسين -عليه السلام-.

الاستنصار الثالث: قال -عليه السلام- لأصحابه: " قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابد منه فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم، فاقتتلوا ساعة من النّهار حملة وحملة، حتى

قتل من أصحاب الحسين عليه السلام جماعة، قال: فعندها ضرب الحسين عليه السلام يده على لحيته، وجعل يقول: اشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولدا، واشتد غضبه على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة واشتدّ غضبه على المجوس إذ عبدوا الشّمس والقمر دونه، واشتدّ غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم، أما والله لا أجيبهم إلى شيء مما يريدون حتى ألقى الله تعالى، وأنا مخضّب بدمي. وروي عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال: سمعت أبي عليه السلام يقول: لما التقى الحسين عليه السلام وعمر بن سعد لعنه الله وقامت الحرب، انزل النصر حتى رفرف على رأس الحسين عليه السلام ثم خُيّر بين النصر على أعدائه وبين لقاء الله تعالى، فاختار لقاء الله تعالى قال الراوي: ثم صاح عليه السلام: أما من مغيث يغيثنا لوجه الله، أما من ذابٍّ يذب عن حرم رسول الله..."(٦).

ومن خلال هذه الاستغاثة أراد الإمام الحسين-عليه السلام- أن يحقّق صدق العلقة بين التّابع والمتبوع، بين الإمام والمأموم، ويفتح بذلك باب السّعادة الأبدية لمن أراد أن يحظى بحياة مستقرّة، وباقية.

المحور الثاني: وفيه سنقف وإياكم على أبرز المحطات:

المحطة الأولى: إنَّ استنصارات الحسين -عليه السلام- فيها بعد ولائي، إذ الحسين -عليه السلام- يؤكّد على حق إمامته، وحق ولايته -صلوات الله وسلامه عليه-، ويؤكد أنّ من آمن بالإمامة للحسين-عليه السلام- فلابد أن يتعامل مع الإمام الحسين -عليه السلام- من خلال حقوق مفروضة عليه من أبرزها حقُّ الطاعة، قال الله -تبارك وتعالى-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)(٧).

وحق الفداء وتقديم الإمام المعصوم على النّفس (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ

وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا)(٨).

وهذه الأولوية أعطاها النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله- في يوم الغدير لأمير المؤمنين علي -صلوات الله عليه- حيث قال: "يا أيّها الناس إنّ الله مولاي، وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه. وعاد من عاداه، ثم قال: أيها الناس إنّي فرطكم وأنتم واردون على الحوض، وحوضي عرضه ما بين بصرى وصنعاء فيه عدد النّجوم قدحان من فضة، ألا وإنّي سائلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما حتى تلقوني، قالوا: وما الثّقلان يا رسول الله ؟ قال: الثّقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف في أيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تذلوا، ألا وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبأني اللطيف الخبير أن لا يتفرقا حتى يلقياني.."(٩).

إنَّ هذه الاستنصارات تبقي الولاية في نفوسنا التي تمثّل طريق النّجاة لنا، وللأجيال التي تلينا إلى يوم القيامة.

المحطّة الثّانية: إنّ استغاثات الإمام الحسين -عليه السلام- فيها محتوى شمولي فالحسين لا يستنصر أو يستغيث أو ينادي أو يخاطب من كانوا في زمانه، الإمام الحسين إمام الجميع من عاشوا في زمانه، ومن عاشوا في هذا الزمان والذين سيأتون في الأزمان القادمة حق الحسين، وولاية الحسين عليهم له.

فالإمام حينما يتحدّث يشمل في كلامه كلَّ من له حق عليه، وخاصَّة حق الولاية للإمام، وكل الخلق عليهم أن يلتزموا بحق الولاية للإمام الحسين -عليه السلام- فتبقى هذه الاستنصارات ممتدّة عبر الأزمان لا يقيّدها زمان، ولا مكان، ولا أشخاص؛ لأنّ الحسين يمثّل الميزان في الصّراع بين الحق، والباطل، بدأ بها نبي الله آدم -عليه السلام-، وستنتهي بالقائم -عجل الله فرجه-، والإمام الحسين -عليه السلام- هو الذي رسم الوهج في داخلنا؛ لتحقيق الانتماء عبر الشّعائر، عبر زيارة الأربعين، عبر الحرارة التي

تبقي انتماء هذا الوهج الذي عبّر الرسول الأعظم محمد-صلى الله عليه وآله-: "إِنَّ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ عليه السّلام حَرارَةً في قُلُوبِ الْمُؤمنينَ لا تَبْرُدُ اَبَداً"(١٠).

هذه الحرارة الموجودة في قلوبنا سرُّ الانتماء للدِّين الصحيح.

الإمام الحسين-صلوات الله عليه- استطاع أن يربطنا بحلقات الهداية للأنبياء ويمهدنا لظهور القائم -عجل الله تعالى فرجه الشريف- فتبقى هذه الاستنصارات شاملة لنا، وبعبارة أخرى اليوم عندما نسمع الإمام الحسين-صلوات الله عليه- يقول: "ألا من مغيث يغيثنا" نحن أيضاً مقصودون وليس من كانوا في زمانه فقط، لذا ينبغي لنا أن ننصر الإمام الحسين-عليه السلام-، وأن نقف مع الحسين في مبادئه، وحياته، ومشروعه.

المحطّة الثّالثة: يلاحظ في جو الاستنصارات ضمن خطابات الإمام الحسين -عليه السلام- تأتي عبارة التّلبية، والتلبية من مقولات الفعل لا من مقولات اللفظ يعني ليست لفظاً.

التّلبية من مقولات العمل والفعل، ومعناها الاستجابة والالتزام.

مثال ذلك عندما تلبي في الحج لعقد الإحرام فأنت لا تلبي فقط لفظاً، بل يستتبع اللفظ أثراً، واقعاً، عمليّاً، يستتبع ترك بعض الأمور التي كانت عليك حلالاً قبل التلبية، ونحن عندما نلبي نداء الحسين فنحن نستجيب للحسين، ولداعي الحسين، ولاستغاثة الحسين، وأن تكون هذه التلبية ذات تفاعل حقيقي، وليس لفظيّاً فحسب، وهذا ما يريده الإمام الحسين -صلوات الله وسلامه عليه-، فالإمام يريد من شيعته أن يتفاعلوا مع مشروعه، وأن يكونوا رقماً في مشروعه، وأن يكونوا نقاطاً فاعلة وأرقاماً فاعلة يتموجون مع مشروع الحسين، ويبنون مع الحسين-عليه السلام- هذا المشروع الذي بدأه آدم وينتهي بالحجة الخاتم-صلوات الله عليهم-.

المحطّة الرّابعة: إنَّ الإمام الحسين-صلوات الله عليه- يتحدَّث في خطاباته على غير الصّيغة والأسلوب الذي يتحدّث به القادة العسكريون أو السّاسة الذين يلهبون حماس

الجماهير عند خطاباتهم؛ ليكسبوا الولاء، أو أن يستخدموا الوعود، والأمنيات، إمَّا بمال، أو بنصر، أو بمناصب أو غير ذلك.

ولكن الإمام الحسين-عليه السلام- جاءت خطاباته، واستغاثاته، واستنصاراته بشكل مختلف إذ لم يعِد بدنيا، ولا بمنصب، ولا بمال، وإنَّما كان يركز على لقاء الله-تعالى-، فالحياة الأبدية في لقاء الله -عز وجل- والطريق الذي يوصل إلى ساحل النّجاة إنَّما هو بلقاء الله -سبحانه وتعالى-، ولذا نجد الإمام ركَّز على بذل المهجة، وكأنَّ الإمام يريد أن يقول لأتباعه: إن كنت تريد الله -تعالى-، قدّم المهجة.

إن كنت تريدني ضع قلبك على كفِّك، وقدّمه.

طريقنا ذات الشّوكة، طريق التّقويم، طريق الإصلاح.

من اعتقد بولايتي وجب عليه التّسليم لي والطاعة لي وأن يلتزم بتقديم التّضحيات إلى درجة المهجة، ولهذا نجد أنصار أبي عبدالله -عليه السلام- كانوا على وعي بأنّهم لن يأخذوا شيئاً من الدّنيا ما داموا قد جنَّدوا أنفسهم لنصرة حبيب الزّهراء الحسين -عليه السلام- في تلك الملحمة الخالدة.

المحطّة الخامسة: الوقوف في مجال تطبيقي، وهنا نورد لكم صورتين متضادتين في جانب التّفاعل لاستغاثة الإمام الحسين -عليه السلام-، ولكن قبل ذكرها يسأل هذا السّؤال: هل هاتان الصورتان ستتكرران في زماننا هذا، وهل ستتكرران عند خروج الإمام المهدي -عجل الله تعالى فرجه- أم لا!؟:

الصورة الأولى: يمثّلها شخصان، الشّخص الأوّل؛ اسمه مالك الأرحبي، والشّخص الثّاني شخص يقال لك الضّحّاك المشرقي، وضد هاتين الصورتين تأتي صورة زهير ابن القين.

كلا الصورتين جاءا الى كربلاء والتحقا بالحسين لنصرته، وصارا ضمن الأنصار، ولكن هذين الاثنين كانا يبتغيان في النفس شيئاً آخر غير النّصرة لسيّد الشّهداء-عليه

السلام-، ولكن بعد سماع خطابات الحسين، واستنصاراته-عليه السلام-، والتّركيز على الموت في سبيل الله -تعالى-، فمن أتى لأجل الغنائم والمناصب حتماً سيخسر دنياه وآخرته، وأمّا من جاء من أجل التّضحية الحقيقية سيكتب له البقاء.

قال ابومخنف - حدثنا عبدالله بن عاصم الفائشي بطن من همدان عن الضحاك بن عبدالله المشرقي قال: **قدمت ومالك بن النضر الارحبي على الحسين فسلّمنا عليه ثم جلسنا اليه، فردّ علينا ورحّب بنا وسألنا عمّا جئنا له ؟ فقلنا: جئنا لنسلّم عليك وندعو الله لك بالعافية، ونحدث بك عهداً ونخبرك خبر الناس، وانا نحدثك أنّهم قد جمعوا على حربك فرأيك.**

فقال الحسين -عليه السلام-: **حسبي الله ونعم الوكيل، قال: فتذممنا وسلّمنا عليه ودعونا الله له، قال: فما يمنعكما من نصرتي ؟ فقال مالك بن النّضر: على دين ولي عيال، فقلت له: إنَّ عليّ دَيناً وأنّ لي لعيالاً ولكنك لك نافعا قال: قال فأنت في حل، فأقمت معه فلمّا كان الليل قال: هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً"(١١).**

سنقف الآن بشكل سريع على تحليل كلمات المشرقي:

أولاً: اعتذاره من إمامه في أحلك الظّروف التي يمر بها بأموال، والتزامات ماليّة، وتعلّقات دنيوية، مع أنَّ الدين رفض التعلق بالدنيا، وجعلها هي الهدف لا الوسيلة، لكن المشكلة ما يواجهه الإنسان إذا اصطدمت الدنيا والتضحية بها في سبيل الله -تعالى- من الذي يُضحَّى به؟

ونحن نعلم جميعاً أنَّ الدّنيا فانية وهذا الاعتذار لا وجه له، ولكن يبقى التّساؤل هل سيتكرّر اليوم؟

هل هناك من يعتذر اليوم عن التّقاعس في تلبية نداء الجهاد المقدَّس ضد داعش وجذورهم -لعنة الله عليهم- بعملي، وزوجتي، وأولادي، أشغالي؟

النّصرة أمر مفروض؛ لأنَّه عقد الولاء بينك وبين الحسين، ولا عذر في من سمع واعية

الحسين، ونصرة الحسين، ولم يجبه.

كل فرد منّا عليه أن يسأل نفسه ماذا قدّمت للحسين؟

هل قدَّمت الأعذار أم قدَّمت الأفعال ؟

زهير بن القين لم يعتذر بماله، على الرغم من أنه كان يملك أكثر مما يملك المشرقي، إضافة إلى الجاه الذي عند زهير لكنه ترك الدنيا كلها والتحق بسيّد الشّهداء -عليه السلام-.

لا بد أن نعلم أنَّ كل واحد منّا مسؤول عن خدمة أهل البيت-صلوات الله عليهم-، ودعم مبادئه، وشعائره، وزيارته، ولو كلَّف ذلك الموت.

علينا أن نربي أولادنا على التّعلّق بالإمام الحجة-عجل الله فرجه-.

الوقفة الثّانية: تأمل المشرقي كيف يقدّم النّصرة للحسين، ولكنه جعل نصرته مشروطة عكس ما هو مقرر في مفردات العقيدة، على الإنسان أن يحاسب نفسه بدقّة، وأن لا يشترط شرطاً عندما يريد أن يتعامل مع الله-تعالى-.

أهل البيت-عليهم السلام- قدَّموا كل شيء لنا، ولكن حينما أن نأتي نحن لنقدم لهم، نجعل كل ما نقدمه بميزان، وحساب، وضمن شروط، كما فعل المشرقي عندما وضع شروطاً.

ليقدم كلّ منّا ما بوسعه من خدمة للإمام الحسين -عليه السلام-، مهما كانت تلك الخدمة. فمن استطاع تقديم الشاي -مثلاً- في مجلس أبي عبد الله -عليه السلام- فليفعل، فإنَّ ذلك شرف وفخر. ومن استطاع أن يشترك في المواكب الحسينية فليشترك، أو أمكنه أن يكون خطيباً لسيد الشهداء -عليه السلام- فليكن، ومن استطاع أن يكتب كتاباً أو يقوم بطبعه ونشره أو يشتري كمّيّة من الكتب أو الأشرطة أو الأقراص الكمبيوترية وما أشبه، مما يعنى بقضية الإمام الحسين -عليه السلام- ومظلوميته، ثم يقوم بتوزيعها مجاناً، أو يبني حسينية أو يساهم في بنائها... إلى غير ذلك من الخدمات

فليفعل؛ فكل ذلك فخر وشرف وذخيرة للآخرة.

يُنقل أنّه عزم جماعة من المؤمنين على بناء حسينية فجاءوا إلى تاجر حسينيّ وفاتحوه بالمشروع فقال لهم: كم تحتاجون من المال؟ وحيث إنّ المبلغ كان كبيراً جدّاً تهيبوا أن يذكروه بلسانهم فكتبوه على ورقة وقدّموها للتاجر. لكن التاجر قال: إنّني لم أضع في حياتي نظارة على عيني في قضية سيّد الشّهداء -عليه السلام-. ولعله كان يعني بعبارته أنّه لا يدقّق في عطائه في هذا المجال كما يدقّق عند تقديم المال في سائر المجالات. وطالبهم بأن يذكروا له المبلغ الذي كتبوه شفاهاً. ثم كتب لهم صكّاً مصرفياً بالمبلغ الذي طلبوه أو بأكثر منه.

إنّنا لو أدركنا أهمّيّة هذه الشّعائر حقاً لم نتخلّ عنها أبداً. كان هناك شخص كبير السن في الكويت - وناقل القصة لي ابنه- كان يقيم مجالس سيد الشهداء -عليه السلام- في بيته، فرأى على أثر ذلك بركات كثيرة، مما دفعه إلى أن يوصي بوقف داره للإمام الحسين -عليه السلام-، على أن تكون تحت تصرّفه وتصرّف زوجته ما داما على قيد الحياة.

فلنقم مجالس العزاء على أبي عبد الله الحسين -عليه السلام- في بيوتنا، ولنشركه في أموالنا، ولندع أحد أولادنا يتوجه إلى التّفرغ لخدمة الإمام الحسين -عليه السلام-، وأخيراً: لنقدم ما وسعنا من خدمة في هذا المجال. فهذه كلّها ذخيرة لنا ليوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

اليوم عندما نواجه شهواتنا، ورغباتنا، وفي نفس الوقت نكون أمام امتحان نصرة الإمام الحسين-عليه السلام-هل أنتصر للحسين؟

أو أنصر نفسي، وأعطيها ما تريد؟

انتصارنا على شهواتنا، وانتصارنا على رغباتنا، وعلى ما نحب إن كان معصية هو نصرة للحسين، واستجابة للحسين-عليه السلام-؛ لأنَّ من نصر مبادئ الحسين نصر الحسين، واستجاب للحسين -صلوات الله عليه-، وهذه توفيقات إلهية على الإنسان أن

يهيئ نفسه والله يختاره، ويجذبه، ولكن المهم عقد النّية على نصرة أهل البيت-صلوات الله عليهم-.

كتب سيد الشّهداء-عليه السلام-:"من الحسين بن علي إلى الرجل الفقيه حبيب بن مظاهر أما بعد يا حبيب فأنت تعلم قرابتنا من رسول الله وأنت أعرف بنا من غيرك وأنت ذو شيمة وغيرة فلا تبخل علينا بنفسك يجازيك جدي رسول الله يوم القيامة"(١٢).

ثم أرسلها إلى حبيب وكان جالساً مع زوجته وبين أيديهما طعام يأكلان .. وإذا بطارق يطرق الباب فخرج إليه حبيب وقال: من الطارق؟ قال: أنا رسول وقاصد الحسين إليك .. ثم ناوله الكتاب ففضه وقرأه فسألته زوجته عن الخبر فأخبرها فبكت وقالت بالله عليك يا حبيب لا تقصر عن نصرة ابن بنت رسول الله فقال: أجل حتى أقتل بين يديه فتصبغ شيبتي من دم نحري.

وكان حبيب يريد أن يكتم أمره على عشيرته وبني عمّه لئلا يعلم به أحد خوفاً من ابن زياد فبينما حبيب ينظر في أموره وحوائجه واللحوق بالحسين إذ أقبل بنو عمه إليه وقالوا: يا حبيب بلغنا أنّك تريد أن تخرج لنصره الحسين ونحن لا نخليك ما لنا والدخول بين السلاطين فأخفى حبيب ذلك وأنكر عليهم فرجعوا عنه وسمعت زوجته فقالت: يا حبيب كأنّك كاره للخروج لنصره الحسين فأراد أن يختبر حالها فقال: نعم فبكت وقالت: أنسيت كلام جده في حقّه وأخيه الحسن حيث يقول: ولداي هذان سيدا شباب الجنة وهما إمامان قاما أو قعدا وهذا رسول الحسين وكتابه أتى إليك ويستعين بك وأنت لم تجبه فقال حبيب: أخاف على أطفالي من اليتم وأخشى أن ترملي بعدي فقالت: ولنا التّأسّي بالهاشميات والأيتام من آل الرسول والله -تعالى- كفيلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل فلمّا عرف حبيب منها حقيقة الأمر دعا لها وجزاها خيراً وأخبرها بما هو في نفسه وأنه عازم على المسير والرواح فقالت لي إليك حاجة فقال وما هي؟ قالت بالله

عليك يا حبيب إذا قدمت على الحسين قبّل يديه نيابة عني واقرأ السلام عني فقال: حُبّاً وكرامة"(١٣).

الهوامش:

(١) سورة الصف/ الآية: ١٤.

(٢) سورة آر عمران/ الآية: ٥٢.

(٣) كامل الزيارات/ ٣٤٧.

(٤) بحار الأنوار / ج ٤٤ / ص ٣٣٠.

(٥) المصدر نفسه / ج ٤٤ / ص ٣٦٦.

(٦) المصدر نفسه / ج ٤٥ / ص ١٢.

(٧) سورة النساء/ الآية: ٥٩.

(٨) سورة الإسراء/ الآية: ٥٨.

(٩) بحار الأنوار / ج ٢٣ / ص١٤١.

(١٠) سنن النبي- صلى الله عليه وآله-/ ج٦/ ص١٠٠.

(١١) مقتل أبي مخنف/ ص٨٠.

(١٢) البطل الأسدي/ ٣٠.

(١٣) المصدر نفسه/ ٣١-٣٣.

هل كانت نهضة الحسين عليه السلام محققة لاهدافها؟

الشيخ عبد الوهاب الكاظمي

كتب الإمام الحسين -عليه السلام- إلى من تخلّف عنه كتاباً لما نزل كربلاء قال فيه " أمّا بعد فمن لحق بي منكم استشهد، ومن لم يلحق لم يبلغ الفتح والسّلام"(١).

فأي فتح هذا الذي يقصده الإمام الحسين عليه السلام مع علمنا بأنّه قُتل هو وأصحابه وأهل بيته وسُبيت حريمه وحمل رأسه إلى ابن زياد ويزيد؟

الجواب: كان للحسين -عليه السلام- من وراء نهضته المقدّسة هدفان: هدف قريب مباشر، وهدف بعيد وغير مباشر.

أمّا الهدف القريب المباشر فهو استرجاع الحق الشّرعي والطّبيعي في الخلافة والحكم؛ لأجل إصلاح المجتمع، وإعادة نظام الإسلام إلى الحياة الاجتماعية وإحياء سنّة جدّه الرسول -صلى الله عليه وآله- وإماتة البدع، وتصحيح الأخطاء، والانحرافات التي تراكمت على المسلمين منذ استشهاد الرّسول محمد -صلى الله عليه واله- من جرّاء السياسات المختلفة التي مارسها الحكام من ذلك اليوم إلى يوم الحسين -عليه السلام-. ممّا أدّى إلى أن لا يبقى من الإسلام بأيدي المسلمين إلا اسمه ولا من القرآن الكريم إلا رسمه. وأمّا الهدف البعيد غير المباشر فهو وضع النّقاط على الحروف.

ووضع الحدود والعلامات الواضحة بين الإسلام الحقيقي والإسلام المزيّف. ولفت الأنظار إلى فشل السياسة السابقة التي أدّت إلى الوضع الفاسد القائم وإلى خطأ المفاهيم التي سار عليها المسلمون بعد رحيل الرسول الأعظم -صلى الله عليه واله-.

والخلاصة: كان هدفه الأول إحياء الإسلام فكريّاً وعمليّاً. وهدفه الثاني إحياؤه فكرياً على الأقل. وهو وإن فاته تحقيق الهدف الأوّل بسبب غدر أهل الكوفة، ولم يتسنَّ له أن يقيم حكومة إسلامية صحيحة ويطبّق النّظام الإسلامي الصّحيح بين المسلمين.

ولكن حقق هدفه الثّاني بلا شك ونزّه دين الله وشريعة الإسلام وسنّة خاتم الأنبياء عن الشّوائب المهينة والمظاهر المشوهة والمفاهيم المغلوطة التي ألحقت به وتراكمت عليه وأظهر وجه الإسلام الجميل ومنظره الجذّاب وصورته السّماويّة الغرّاء من بين ركام

البدع والاجتهادات الضّالة والاستحسانات الفاسدة.

وكمثل على ذلك نقول أنّ مما شاع وذاع بين الخبراء والباحثين هو أنّ من أهم النّتائج والآثار لمأساة أبي عبدالله الحسين -عليه السلام- وحادثة كربلاء انتشار التشيع وظهور مذهب أهل البيت -عليه السلام- أكثر فأكثر وتزايد عدد الشيعة في العالم الإسلامي رغم أن انبثاق التشيع كان مقارناً مع انبثاق فجر الإسلام ومنذ أوائل البعثة المحمدية غير أنه كان محدوداً ومحصوراً في نطاق أعيان الصحابة واعلام المهاجرين والأنصار بالإضافة إلى بني هاشم. أما بعد نهضة الحسين -عليه السلام- فإنّه أي التشيع أصبح منتشراً في كافة الأقطار وبين عامّة الطبقات...

والسّؤال الآن هو كيف كان ذلك ولماذا؟

الجواب: أقول لأنّ الرّأي العام وكل إنسان حر عاقل ذي وعي وضمير لمّا سمع بأنباء تلك المجزرة الرّهيبة التي أبيد فيها آل رسول الله -صلى الله عليه واله-، وبما تلاها من الجرائم والموبقات وأبشع المنكرات التي تأباها حتى الوحوش... صار يفكّر في نفسه ويتساءل: من أين جاءت هذه العصابة المجرمة الأموية إلى السلطة إلى الأمرة والحكم فسودوا وجه التاريخ الإسلامي، والعربي وملؤوا الدنيا بالظلم والفساد. من الذي مكّن لهم، ومهّد الطريق أمامهم إلى الخلافة الإسلامية؟

فيأتيه الجواب طبعاً وبكل بساطة. أنّه بسبب الغلطة الكبرى والخطأ الذي ارتكبه بعض الصحابة بعد استشهاد النبي محمد -صلى الله عليه واله- بإنكارهم الحق الشّرعي والطّبيعي في الخلافة للإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- بعد الرسول ورفضهم النّصوص القرآنية والوصايا النّبوية في خلافة علي وولايته العامة على الأمة بعد النبي -صلى الله عليه واله- وادّعوا أنَّ الله لم يعيّن لرسوله خليفة قط والرّسول لم يختر لنفسه نائباً ووصيّاً. وأن أمر القيادة والإمامة بعد الرّسول موكول إلى أهواء الناس وآرائهم. فأدّى ذلك بطبيعة الحال إلى أن يتقمّص الخلافة ويتسلّم زمام السّلطة والقيادة العامّة

بعد الرسول الأكرم -صلى الله عليه وآله- أشخاص جديدو عهد بالإسلام وأهدافه بعيدون عن تفهم جوهره ولبابه. بعد لم يعرفوا الإسلام بروحه وحقيقته وواقعه الذي هو تربية روحية وتهذيب خلقي وتكوين إنساني أكثر من كونه توسعاً إقليمياً وسلطة زمنية وحركة سياسية.

لذلك صاروا يتخبطون في أمر الخلافة بغير هدى، ولا طريق معيّن فتارة يعتمدون في اختيار الخليفة مبدأ الانتخابات العام، وتارة مبدأ النّص والاختيار الفردي، وأخرى مبدأ الشّورى من قبل أشخاص معدودين، وهكذا كلّما اعتمدوا مبدأ جاء بنتيجة أسوأ من الأوّل إلى أن صارت الخلافة الإسلامية لعبة صبيانية، ومطمعاً لكلِّ طامع حقير.

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس

فيا ترى هل يجوز على الله -سبحانه- وتعالى وهو علّام الغيوب القادر الحكيم هل يجوز له أن يرضى لعباده هذا الخبط والضّلال فلا يختار لهم قائداً، مخلصاً، وإماماً عالماً، وخليفة كفؤاً بعد نبيّه محمد -صلى الله عليه واله- الذي لا نبي بعده؟

كلا وحاشا وسبحانه وتعالى عمّا يزعم الجاهلون ويقوله الظّالمون. قل لي بربك أيّها المنصف إلى أي شيء أوكلهم الله بعد رسوله في أمر التنظيم والتوجيه. أإلى القرآن الكريم فقط؟ وفيه الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمجمل والمفصل والتّفسير والتّأويل. مع العلم بأنّه -سبحانه- أمرهم فيه أن يرجعوا لمعرفة آياته وتأويلها إلى الرّاسخين في العلم. أي علم القرآن. وأمرهم بأن يسألوا أهل الذّكر عما يجهلون منه فمن هم هؤلاء الرّاسخون في العلم ومن هم أهل الذكر. أفلا يجب عليه -تعالى- أن يعرف العباد بهم؟ وإلا فما وجه الحكم في الأمر بشيء مجهول. ثم بأي حجة يحتج الله -سبحانه- على عباده إذا ضلوا بعد النبي -صلى الله عليه وآله- ولم يهتدوا إلى أهل الذكر وإلى العلماء الرّاسخين؟ وهذا القرآن كما تراه يحتمل سبعين وجهاً في التّفسير والتأويل على حد الحديث الشّريف الذي مؤداه أنّ للقرآن سبعين بطناً فمن فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ

مقعده من النار... هذا من جهة.

ومن الجهة الأخرى يقول المثل المأثور: حدِّث العاقل بما لا يليق فإن صدّق فلا عقل له. فهل يليق أيها العاقل المنصف بمقام رسول الله -صلى الله عليه وآله- وهو الفرد الأكمل في النوع الإنساني عقلاً وحكمة أن يموت ويترك رسالته دون تعيين نائب عنه في رعايتها ونشرها وصيانتها والدفاع عنها؟ يموت تاركاً الأمة التي تعب على إنشائها طيلة ثلاث وعشرين سنة دون تعيين راعٍ يرعاها وبلا أن ينصب خليفة عنه لقيادتها وهي بعد في بداية الطّريق ودور الطفولة ومرحلة الخطر. محاطة بالأعداء والموتورين والطّامعين من الخارج ومهددة بالمنافقين والانتهازيين والمؤلّفة قلوبهم من الدّاخل؟ يموت بدون وصيّة وبدون تعيين وصي وبدون أن يختار نائباً وخليفة عنه في أمّته فيخالف بذلك كافة الأعراف العقلائية وأبسط النّواميس العقلية وقانون الأنبياء والمرسلين؟ قل لهؤلاء الذين يزعمون أنّ محمداً -صلى الله عليه وآله- مات ولم يعيّن لنفسه خليفة ووصيّاً...

قل لهم هل فعل ذلك نبي أو رسول قبل محمد؟ أي نبي من آدم فمن بعده مات قبل أن يعين ويختار وينصب خليفة ووصياً؟ فكيف يشذ محمد -صلى الله عليه واله- عن سيرة الأنبياء ويخالف مسلك المرسلين مع كونه آخرهم وخاتمهم؟

هاك كتب التاريخ وسير الأنبياء فراجعها لتعرف أنّه ما من نبي من آدم عليه السلام إلى عيسى فارق الحياة وخرج من هذه الدّنيا إلا بعد أن اختار لنفسه وصيّاً وعيّن نائباً وعرفه لأمته وسلمه كتبه ومواريث العلم والنبوة. سواء كان ذلك الوصي والخليفة نبيّاً أيضاً كأكثر أوصياء الأنبياء أو لم يكن نبياً بل كان إماماً وخليفة فقط يقوم بمهام النبي ويرعى شؤون أمته ورسالته.

وإليك أسماء البارزين من أولئك الأنبياء وأسماء خلفائهم الذين قاموا بعدهم بوصية خاصة ونص وتعيين:

١ـ نبي الله آدم -عليه السلام-: أبو البشر وأوّل الأنبياء. خلف ولده الثّالث شيث

-عليه السلام- وصيّاً وخليفة من بعده وسلّم إليه الصّحف التي أنزلها الله-تعالى- عليه والكلمات التي تلقّاها من ربّه فتاب عليه بعد أن كان قد أوصى إلى ولده هابيل واختاره خليفة عنه فحسده أخوه الأكبر قابيل وقتله حسب ما هو معروف ومشروح في الكتاب العزيز.

٢ ـ النبي نوح -عليه السلام- شيخ المرسلين. خلف ولده الصّالح سام، واختاره خليفة على أمّته من بعده وسلّم إليه الصّحف والكتب المنزلة عليه بعد أن هلك ابنه الأكبر الكافر (كنعان) مع المشركين والكفرة في الطّوفان على ما ذكر من قصّته في القرآن الكريم.

٣ـ إبراهيم الخليل -عليه السلام- خلف ابنه الأكبر إسماعيل -عليه السلام- خليفة على أمته من بعده وأوصاه أن يخلف أخاه الأصغر إسحاق -عليه السلام- من بعده وأوصى إسحاق أن يخلف ابنه الأكبر يعقوب-عليه السلام-.

٤ ـ موسى بن عمران كليم الله -عليه السلام- عين أوّلاً أخاه ووزيره في الرّسالة هارون بن عمران ليخلفه في أمّته ولكن وافاه الأجل المحتوم قبل موسى -عليه السلام- فأوصى موسى إلى يوشع بن نون -عليه السلام- وخلفه إماماً على أمّته وسلّمه التّوراة والمواريث ولمّا مات موسى وقام يوشع بن نون مقامه حسدته زوجة موسى وهي صفيراء بنت شعيب فأثارت ضدّه الفتنة وحاربته ولكن الله -سبحانه- نصره عليها وقصّته مذكورة في كتب سيرة الأنبياء-صلوات الله عليهم-.

٥ ـ داود -عليه السلام- اختار ولده سليمان في حياته وأوصى إليه وسلّمه الزبور ومواريث النّبوّة فقام من بعده بأمر الرّسالة.

٦ ـ عيسى بن مريم -عليه السلام- روح الله وآيته أوصى إلى شمعون الصفا وهو من خلّص الحواريين فقام شمعون الصّفا من بعد أن رفع عيسى -عليه السلام- قام مقامه خليفة في أمّته ووصيّاً على رسالته.

٧ ـ زكريّا -عليه السلام- أوصى في حياته إلى ولده يحيى -عليه السلام- وعينه خليفة

عنه بعده... وهكذا.

فكيف يجوز في عرف الشرع ومنطق العقل وسيرة العقلاء أن يخرج محمد -صلى الله عليه وآله- عن سيرة سلفه الصّالح ويخالف الأنبياء جميعاً فيموت ويترك أمّته سدى حبلهم على غاربهم تتلاعب بهم الأهواء وهو أفضل الأنبياء عقلاً وحكمة ومعرفة ورسالته خاتمة الرسائل والشّرايع جاءت لتدوم إلى الأبد وليهتدي بها البشرية جميعاً فهل هذا معقول؟ والشيء الآخر هو: أنّ السيرة الفطرية في سلوك كل بشر عادي أنّه إذا كان مسئولاً عن شيء أو يحرص على سلامة شيء من مال أو متاع أو عائلة ثم عرضت له حاجة تدعوه أن يغيب عن تلك المسئولية فإنّه بحكم فطرته الارتكازية يفكّر بمن يقوم مقامه مدّة غيابه للحفاظ على ذلك الشّيء وأداء تلك المسئولية مدة غيابه.

فمثلاً رجل رب عائلة يريد السَّفر لعدَّة أيّام أو أشهر فإنَّه بفطرته البشرية العادية يوصي إلى رجل رشيد من أقاربه أو جيرانه أو أصدقائه يوصيه بأن يرعى شؤون عائلته ويتفقَّد أمورهم مدَّة غيابه.

ومثل آخر: رجل صاحب مكتب أو متجر أو شيء من هذا القبيل يريد مغادرته لحاجة في الخارج خلال مدَّة العمل فإنَّه يكلِّف شخصاً أو ينصب شخصاً للقيام مقامه أو لرعاية المكتب على الأقل ريثما يذهب ويعود ولا يمكن أن يترك المكتب مهملاً مفتوحاً بدون رعاية من أحد.

وأخيراً فلنتصوّر رجل عشيرة قبل رحيله فهل يترك عشيرته بدون أن ينصب مكانه رجلاً يدير أمور العشيرة مدة غيابه، وإذا فعل وترك العشيرة سدى وذهب عنها أفلا يلومه العقلاء على ذلك ويعتبرونه مقصِّراً ومتهاوناً بمسئوليته.

والأمر الرابع: أقول هل رأيت أو سمعت في العالم ملكاً بدون وليّ عهد معيّن في حياته أو رئيس جمهورية أو أمير دولي بلا نائب مخصوص مختار قبل وفاته؟

فهل كان النبي محمد -صلى الله عليه واله- أقل إدراكاً للأصول الإدارية والسّياسيّة

والزّعامة من كل الملوك والرّؤساء. أم ماذا؟ أم أنّ الملوك والرّؤساء أكثر اشفاقاً على سلامة الشّعوب والنّظام من سيّد المرسلين خاتم الأنبياء على أمته ورسالته؟

فهذه مثلاً دولة إسرائيل القائمة في قلب العالم العربي الإسلامي وقد اعترف بها أكثر دول العالم وتؤيّدها أكبر الحكومات ماديّاً ومعنوياً. فهل يجوز للعقل والشّرع وعُرف العقلاء الاعتراف بها وبشرعيتها لمجرد ذلك؟ الجواب طبعاً كلا؛ لأنّها وقعت على الغدر، والخيانة، والغصب، كما أنَّ المبدأ القائم على الفكرة القائلة بأنَّ الصحابة كلّهم عدول أخيار صلحاء لا يجوز الطّعن فيهم ولا يحق لنا التنديد بهم. هذا المبدأ هو الآخر غير صحيح لا يقوم على أساس من المنطق والدليل إذ لا شك أنّهم كانوا بشراً مثلنا غير معصومين من الخطأ والعصيان ومخالفة أوامر الرسول -صلى الله عليه وآله- إلا من عصمه الله منهم بقوّة الإيمان والتّقوى ومتانة العقيدة واستكمال التربية الإسلامية. وقد وقعت بينهم اختلافات شديدة أدَّت إلى أن يشتم بعضهم بعضاً، ويقاتل بعضهم البعض، وسفكت بينهم الدّماء، فهل كانوا جميعاً على حق في تلك المنازعات؟ وهل كانوا كلّهم عدولاً في خلال تلك الحروب والمعارك؟ وهل القاتل والمقتول منهم في الجنة؟

إنّ مجرّد الصّحبة للرسول -صلى الله عليه وآله- ليست علّة تامّة لحصول الإيمان والعصمة الحافظة. كيف لا وقد صرّح القرآن الكريم بوجود عدد كبير من المنافقين بين صفوف الصّحابة الذين كانوا مع الرّسول -صلى الله عليه وآله- في المدينة وقد دبّر بعضهم عدّة مؤامرات لاغتيال النّبي -صلى الله عليه وآله- فنجا منها بمعجزة. وكان فيهم أي في أولئك المنافقين عدد قد أتقنوا فنّ النّفاق إلى حدّ خفي نفاقهم، وقد ذكرهم -تعالى- لرسوله على نحو الإجمال فقال: (من أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذّبهم مرّتين ثم يردون إلى عذاب عظيم)(٢).

ثم كيف يستبعد منهم مخالفة أوامر الرّسول -صلى الله عليه وآله- في وصيّه وخليفته

علي بن أبي طالب-عليه السلام- بعد استشهاده، وقد خالفوا أوامره مراراً في حياته وهم معه وجهاً لوجه خذ مثلاً لذلك ما أجمع عليه المسلمون وهي قضية طلب النبي -صلى الله عليه وآله- الدّواة والكتف؛ ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً فعصوا أمره ولم يلبّوا طلبه وقالوا أنّه يهجر. فغضب الرسول عليهم وقال قوموا عنّي. راجع ذلك في الصّحاح والمسانيد. وفكر فيما شرحناه بعقلك وحكم وجدانك وضميرك لتعرف أنّ فكرة التّشيع والمذهب الشّيعي هما عصارة مدلول الكتاب العزيز والسّنّة الشّريفة ونابعان من صميم العقل، والضّمير الإنساني. ولتعرف إنّ التّشيّع قائم على أساس متين من الدّليل والمنطق والوجدان وهو عبارة أخرى عن الإسلام التام الكامل الشّامل لكل ما جاء به النبي محمد -صلى الله عليه وآله- من عند الله -تعالى- بدون زيادة ولا نقصان. كيف لا وهو مذهب أهل البيت -عليهم السلام- الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً...

والآن نختم البحث حول هذا الموضوع ونعود إلى الغرض المقصود وهو أنّ من ثمرات ثورة الحسين -عليه السلام- ومن نتائج تضحياته الجسام انتباه الرّأي العام الإسلامي الى خطأ السّياسات الارتجالية التي سار عليها ولاة الأمر منذ رحيل الرّسول الأكرم -صلى الله عليه وآله- والتي أدّت بالمسلمين إلى النّكسات والنّكبات وتشتّت الكلمة، واندلاع الفتن والحروب الدّاخليّة والمفاسد الاجتماعية، وانحسار الرّوح الإسلامية من نفوس المسلمين.

وأدّت أخيراً الى هذه الوصمة المخزية ولطخة العار في جبين الإنسانيّة حيث لم يمضِ على استشهاد رسول الإسلام ونبي المسلمين سوى خمسين عاماً فقط وإذا المسلمون أنفسهم ينهالون على أهل بيت نبيّهم وأولاد منقذهم وذرّيّة سيدهم محمد -صلى الله عليه وآله- قتلاً، وتشريداً، وابادة، وتقطيع أوصال وحمل الرؤوس على أطراف الرّماح من بلد إلى بلد، وترك الجثث على وجه الرّمال، وحمل بنات رسول الله سبايا حواسر

على الأقتاب تُساق كما تُساق سبايا الكفرة والأشرار كل ذلك بسبب أنهم أنكروا الظّلم والفساد، وعارضوا البدع والاستبداد. فهل ارتكبت أمّة في العالم قبل هذه الأمّة عاراً مثل هذا العار وجريمة أبشع وأخزى من هذه الجريمة؟

قال السيد الرضي في قصيدة له:

جزروا جـزر الأضـاحي نسـلـه ثـم سـاقـوا أهـلـه سـوق الامـا

لو بسبطي قيصر أو هرقل فعلوا فعل يزيد ما عدا

ليس هـذا لرسـول الله يـا أمـة الطغيان والبغي جزا

كلُّ ذلك من جرّاء الإعراض عن الإمامة الشّرعية والخلافة الإلهية بعد رسول الله -صلى الله عليه وآله-. تماماً كما تنبأت به وحذّرتهم عنه سيّدة النّساء فاطمة بنت محمد -صلى الله عليه وآله- في الخطبة التي ألقتها على نساء المهاجرين والأنصار بعد اغتصاب الخلافة من الإمام علي -عليه السلام- حيث قالت -عليها السلام-: "ويحهم أنا زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة والدلالة ومهبط الروح الأمين والطّبين بأمور الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين وما الذي نقموه من أبي الحسن نقموا منه والله نكير سيفه وقلّة مبالاته بحتفه، وشدّة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردهم إليها، ولحملهم عليها، ولسار بهم سيراً سجحاً لا يكلم خشاشه ولا يكل سائره ولا يمل راكبه ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطاناً ولنصح لهم سرّاً وإعلاناً ولم يكن يتحلّى من الغنى بنائل، ولا من الدّنيا بطائل، غير ري الناهل وشبعة الكافل، ولبان لهم الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب: ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السّماء والأرض ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون".

ويحهم (أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ

تَحْكُمُون).

أما لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوا ملء القعب دماً عبيطاً فهنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأوّلون ثم طيبوا عن دنياكم نفساً واطمئنوا للفتنة جأشا وابشروا بسيف صارم وسطوة معتد غاشم وبهرج شامل واستبداد من الظّالمين يدع فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً فيا حسرة لكم وأنّى بكم وقد عميت عليكم إن ألزمكموها وأنتم لها كارهون" (٣).

ونعود فنقول إنّ ثورة الحسين -عليه السلام- كانت ناجحة وفاتحة ورابحة. ولكن نجاحاً معنويّاً وفتحاً فكريّاً على الصّعيد العالمي وربحاً عاطفياً ووجدانياً عمّ النّوع الإنساني بكل شعوبه وطوائفه وقومياته. وأمّا النّصر العسكري والنّجاح المسلّح فليسا دائماً دليلاً على النّجاح الحقيقي على حدّ الكلمة المأثورة: جولة الباطل ساعة وجولة الحق إلى قيام الساعة (الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)(٤).

الهوامش:

(١) بحار الأنوار/ ج٤٥/ ص٨٥.

(٢) سورة التوبة/ الآية: ١٠١.

(٣) بحار الأنوار/ ج٤٣/ ص١٥٨.

(٤) سورة هود/ الآية: ٤٩.

الجانب الإنساني والتبليغي والأدبي عند الإمام الحسين -صلوات الله عليه-.

السيد حسين الحيدري/ خطيب حسيني.

سفينة الإمام الحسين-عليه السلام- أسرع باعتبار أنّ الشّعائر، والأعمال المرتبطة بأبي عبدالله أسرع للقبول عند الله -سبحانه-، وأوسع؛ لأنّ أكثر النّاجين يوم القيامة إنّما بفعل شفاعة سيد الشهداء-عليه السلام-، ولا شك في ذلك فإنَّ الإمام الحسين-عليه السلام- أعطى لله-تعالى- كلَّ شيء فأعطاه الله-تعالى- كلَّ شيء، قال الله -تعالى-: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)(١).

لقد أنفق الإمام الحسين -عليه السلام- كلَّ ما يملك في سبيل الله -تعالى-، فكان البحر الذي لا يُدرَك قاعه، ولكن كلّ يدلو بدلوه ليتعرف على مقامات سيّد الشهداء -عليه السلام-.

الحسين غني عن التعريف فلم تكتب الأقلام كما كُتِب عنه، ولم تَجتمع المجالس على ذكر كذكر الحسين، ولا أوقفت الأوقاف كما أوقفت للحسين -عليه السلام- فهو الإمام المحبوب عند كلِّ الطوائف، المعظَّم بكلِّ لسان، والممجد بكلِّ مكان، والموصوف بكلِّ لغة حتى من أعدائه، وحتَّى قاتله شمر ابن ذي الجوشن عندما وقف بين يدي يزيد لنيل جائزته، قال:

املا ركابي فضة أو ذهبا * إنّي قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أمّاً وأبا

نعم إنَّه سيّد الشهداء، وخامس أهل الكساء، والعروة الوثقى.

إنَّ الحديث عنه-عليه السلام- لا ينتهي، ولكن اقترن الحديث بمأساة كربلاء العظيمة حتى أصبحت كربلاء كربلاء بفعل ارتباطها بسيّد الشّهداء الإمام الحسين -عليه السلام- حتى وصفها أحدهم بقوله: (لو توسعت كربلاء لكانت التاريخ، ولو تضيَّق التاريخ لكان كربلاء)، إذن فالحديث عن كربلاء لا يمكن لشخص أن يحيط به، لأنّه اقترن بشخصيّة يصعب الغور في أعماقها، ولكن أحاول أن أتكلّم بهذه الأسطر عن

الحسين من جانبين غير جانب الطّف، وكربلاء، ألا وهما الجانب الإنساني، والجانبي التبليغي، والأدبي.

الجانب الإنساني:

لا أريد أن أستعرض مسيرة الإمام الحسين -عليه السلام- الإنسانيّة، ولكني أذكر ومضات منها وقعت في كربلاء:

• إنَّ الإمام بما أنّه معصوم كان قلبه يسع الجميع ورحيماً بالجميع؛ ولذا نرى الإمام -عليه السلام- كان حريصاً على أن لا يبدأ القوم بالقتال، وحريصاً على أن يستنفد كل الوسائل من أجل انقاذ ما يمكن إنقاذه من الكثير ممن غُرّر بهم وخدعوا، وأيضاً إلقاء الحجّة عليهم . ولذا نرى في الجيش نفسه من كانت قلوبهم مع الحسين-عليه السلام- ولكن سيوفهم عليه، وكان -عليه السلام- يُحاول تحريرهم من الخوف ولو فرضنا أن ذلك وقع فلا أقل من أنّ الحسين-عليه السلام- كان قلبه يرق لهم لعظم ما يقدمون عليه من معصية الله -سبحانه وتعالى-، ثم يمكن القول أنّ ذلك قد وقع من الحسين-عليه السلام-أي الرّقة والحزن عليهم قبل أن يقع القتال، والسيف بينهم، وهم قبل أن يقع السيف بينهم لا يزالون في فسحة من العودة إلى الحق، والتّوبة، وهذا ما حصل فعلاً من بعض الأشخاص الذين انسلوا من جيش عمر بن سعد الى جيش الإمام وقاتلوا الى جنب الحسين-عليه السلام-، ولم يكن هذا فقط بل أن الأمر قد جاوز ليلة المعركة الى يومها حيث موقف -الحر و ولده- ثم أنّ الأخبار وردت عن أمير المؤمنين-عليه السلام- حينما قاتله أهل الجمل كان يبكي في خيمته ويرى أصحابه الحزن الشّديد لما لحق بالأمة من الهوان والخذلان واتباع الشيطان.

ب. ولما صرع (واضح التركي) وهو غلام لأحد أصحاب الحسين-عليه السلام-، بعد أن قاتل قتال الأبطال استغاث بالحسين، فأتاه أبو عبدالله -عليه السلام- واعتنقه فقال واضح -وهو يطوي آخر اللحظات من حياته مفتخراً ومباهياً-: مَن مثلي وابن رسول

الله -صلى الله عليه وآله- واضع خدّه على خدّي. ثم فاضت نفسه الطّاهرة.

فالإمام -عليه السلام- يضع خدّه على خدّ غلام حبشي أو تركي قتل بين يديه دفاعاً عن الإسلام، كما وضع خدّه فيما بعد على خدّ ولده علي الأكبر -عليه السلام-.

ج- وأقبل جون مولى أبي ذر الغفاري يستأذن في القتال، فقال الحسين-عليه السلام-: "يا جون أنت في إذن منّي فإنّما تبعتنا طلباً للعافية، فلا تبتل بطريقنا، فقال جون: يابن رسول الله أنا في الرّخاء الحسُ قِصاعَكم وفي الشدّة أخذلكم ؟! والله إنّ ريحي لنتن، وإنّ حسبي للئيم، وإنّ لوني لأسود، فتنفّس عليّ بالجنة فتطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيّض وجهي، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدّم الأسود مع دماءكم.

فأذن له الإمام الحسين فبرز يرتجز ويقول:

كيف يرى الكفّار ضرب الأسود بالمشرفيّ والقنا المسدّد

يذبّ عن آل النبي أحمد يذبّ عنهم باللسان واليد

فقتل خمساً وعشرين رجلاً ثم قُتِل، فوقف عليه الحسين-عليه السلام- وقال: اللهم بيّض وجهه وطيّب ريحه، واحشره مع الأبرار، وعرّف بينه وبين محمد وآل محمد(٢) .

د- قول الرّواي: بينما الحسين يسير إذ كبر رجل من أصحابه فقال الحسين -عليه السلام-: التكبير حسن لكن لِمَ كبَّرت؟ قال: رأيت النخل فقال جماعة من أصحاب الحسين -عليه السلام-: والله ما بهذا المكان نخلة قط فقال -عليه السلام- ما ترونه قالوا: نراه والله أسنّة الرّماح وآذان الخيل، قال: وأنا أراه كذلك .

فمال الحسين -عليه السلام- وأصحابه إلى جبل فما أسرع ما طلعت الخيل وعليها الفرسان وهم الحر وأصحابه ألف فارس على ألف فرس لكن كانت وجوههم مخطوفة من شدّة العطش فقال الحسين -عليه السلام- لأصحابه: اسقوا القوم وارووهم من الماء وارشفوا الخيل ترشيفاً أي اسقوها قليلاً وهذا غاية الجود ونهاية الكرم أن يسقي الحسين -عليه السلام- أعداءه الذين جاؤوا لمحاربته فسقاهم الماء مع خيولهم في تلك

الأرض القفراء التي لا ماء فيها ولا عشب ثم التفت الإمام الحسين -عليه السلام- إلى الحر فقال له: لنا أم علينا فقال: بل عليك يا أبا عبد الله فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم جعل الحر يضيّق على الحسين -عليه السلام- ويمنعه من التّوجّه يميناً أو شمالاً فقال له الحسين -عليه السلام- ثكلتك أمّك يا حر دعنا نسير فقال: والله لو غيرك من العرب قالها لي لما تركت ذكر أمّه بالثكل كائنا من كان ولكن ليس لنا إلى ذكر أمّك إلا بأحسن ما نقدر عليه لأنّ أمك فاطمة بنت محمد.

ولكنه حينما رأى أنّ القوم قد صمّموا على قتال الحسين -عليه السلام- أقبل إلى عمر بن سعد فقال له: أمقاتل أنت هذا الرجل قال: أي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرّؤوس وتطيح الأيدي قال: فما لكم فيما عرضه عليكم قال: لو كان الأمر إليّ لفعلت ولكن أميرك قد أبى.

فأقبل الحر وأخذ يدنو من الحسين قليلاً قليلاً فقال له المهاجر بن أوس: ما تريد يا ابن يزيد أتريد أن تحمل فلم يجبه وأخذته مثل الرّعدة يعني صار الحر يرتجف من رأسه إلى قدميه فقال له المهاجر: والله إنّ أمرك لمريب وما رأيت منك في موقف قط مثل هذا ولو قيل من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك فما هذا الذي أرى منك، فقال الحر: إنّي والله أخيّر نفسي بين الجنة والنار فو الله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وأحرقت ثم ضرب فرسه قاصداً إلى الحسين وقد قلب درعه كهيئة المستأمن المستسلم واضعاً عشر أصابعه على رأسه وهو يقول: اللهم إليك أنيب فتب عليّ فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيّك إلى أن صار قريباً من الحسين (صاح السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا ابن رسول الله فقال له الحسين: وعليك السلام ارفع رأسك من أنت قال: سيدي أنا صاحبك الذي منعتك في الطّريق وجعجعت بك في هذا المكان لا والله يا سيدي ما كنت أظن أنّ الأمر يبلغ إلى ما ترى) وأنا الآن تائب نادم هل تقبلني، فقال الإمام الحسين إن

تبت تاب الله عليك ويغفر لك انزل من على ظهر جوادك) فقال سيدي قبلت توبتي وأبقى حي دعني أكن أوّل قتيل بين يديك كما كنت أول خارج عليك (ثم أقبل الحر نحو الميدان وخطب خطبة وعظ القوم فلم ينفع فيهم الوعظ ثم عاد إلى الحسين يودّعه فودّعه وعاد يقاتل قتال الأبطال وهو يرتجز ويقول :

أضرب في أعناقكم بالسيف إنيّ أنا الحرّ ومأوى الضيف
عن خير من حلّ بأرض الخيف أضربكم ولا أرى من حيف

إلى أن سقط على وجه الأرض وهو يقول: سيدي أبا عبد الله أدركني فجاءه الحسين مسرعاً جلس عنده جعل يمسح الدّم والتّراب عنه وهو يقول: أنت حرّ كما سمّتك أمّك، أنت حر في الدّنيا وسعيد في الآخرة(٤).

ولا أريد أن استعرض كلَّ المواقف الإنسانية للإمام الحسين-عليه السلام-؛ لأنّها أكبر من أن تُحصر، وتُعد، ولعلَّ ما خفي أعظم، حيث لم يصل إلينا إلا النّزر القليل، ولكن ما لا يدرك كلّه لا يترك كله، وهذه شذرات من هذه السيرة العطرة، وما أحوج البشرية اليوم الى قائد تتجسّد فيه المروءة والسّمات الإنسانيّة، والأدهى والأمر من ذلك أنّ الناس أخذوا ينظرون إلى الغرب كأنّهم رسل الإنسانيّة، حيث ترى اليوم طوابير المهاجرين تجازف بأرواحها للوصول الى شاطئ الأمان الإنساني (الغرب) كما صوّره البعض، وكما نراه من خلال الإعلام المزيّف.

لا شك أنّه من الإنصاف الاعتراف بوجود بعض الإيجابيات والسّلوك المنظّم في معظم المجتمعات الغربيّة مثل الانضباط في النّظام المروري والعمل والدّراسة بالإضافة لتقدمهم في المجالات العلمية والهندسية والطبيةأ وللأسف انخدع بعض البسطاء محدودي النّظر بهذه الأمور وغفلوا أو تجاهلوا سائر الجوانب الأخرى المظلمة والمخزية

والدّامية!

إذ أغلب المآسي التي تعصف ببلاد المسلمين سببها الغرب فهو الذي يزرع بذور الشّقاء في الخفاء، ويبكي على المآسي في العلن.

هل يقول عاقل إنّ أخلاقهم أخلاق المسلمين، ونسب المواليد من الزنا جاوزوا فيها أهل الجاهلية.

يترك كل هذا وينظر إلى عدم قطع الإشارة، واحترام المارة، وربط الحزام، ودقة المواعيد إلى غير ذلك من الأمور المظهرية والتي يخفى على كثيرين ممن يمدحونهم عليها أنّها خاضعة للنظرة (النّفعية) فهي أخلاق غير ثابتة إلا بحسب المصلحة والمنفعة فإذا كانت المنفعة في التزامها التزموها وإلا فالتزامها عندهم سذاجة .

دع كل هذا، أليس فيهم من خلف الوعود وتزوير الشّهادات الجامعية، ونكث العهود وتدمير حقوق الإنسان التي يدّعون أنّهم حماتها.

كل هذا موجود فيهم كما أنّ المسلمين حين صار الدين فيهم غريباً وجد فيهم من لا يلتزم أخلاقه وهم كثيرون ووجدت فيهم الطائفة التي أخبر النبي -صلى الله عليه وآله- عنها وأنها باقية إلى قيام الساعة فلماذا لا ينظر للأمور بعمق وتترك السذاجة في الطرح .

وأخيراً: فالأمور بخواتيمها فلماذا صاروا أكثر الناس انتحاراً، وأعظمهم أزمات نفسية وأكثرهم قلقاً.

الجانب التّبليغي

أ- إنّ عنصر التّبليغ بلغة المنطق، والنّقل، والعقل في هذه النّهضة يتجلّى من خلال كلمات ذلك العظيم. فكل فقرة من كلماته النيّرة التي نطق بها -عليه السلام-، قبل نهضته عندما كان في المدينة والى يوم شهادته، تُعرب عن منطق متين، خلاصته: إنّه عندما تتوفّر الشّروط المناسبة يتوجّب على المسلم تحمّل المسؤولية، سواء أدّى ذلك الى مخاطر جسيمة أم لا. وإنَّ أعظم المخاطر تتمثل في تقديم الإنسان نفسه وأعزاءه وأهل

بيته الى أرض المعركة وفي معرض السبي قربة لله-تعالى-.

إنَّ مواقف عاشوراء هذه أصبحت أمراً طبيعيّاً عندنا لكثرة تكرارها، مع أنَّ كل موقف من هذه المواقف يهزّ الأعماق.

بناءً على ذلك، عندما تتوفر الشّروط المتناسبة مع هذه المخاطر، فعلى الإنسان أن يؤدّي واجبه، وأن لا يمنعه عن إكمال مسيرته التعلقُ بالدّنيا والمجاملات وطلب الملذات والخلود الى الراحة، بل عليه أن يتحرّك لأداء الواجب.

ولو تقاعس عن الحركة، لنتج عن ذلك تزلزلٌ في أركان إيمانه وإسلامه، قال رسول اللَّه -صلّى اللَّه عليه وآله-: "من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم اللَّه ولم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على اللَّه أن يُدخله مُدخله"(٤).

هذا هو المنطق، فلو أنّ أصل الدين تعرّض الى خطر ولم يُغيّر ذلك بقول أو فعل، كان حقّاً على الله أن يبتلي الإنسان اللامبالي وغير الملتزم بما يُبتلى به العدو المستكبر والظالم.

لقد بيّن الإمام الحسين -عليه السلام- هذه المسؤولية من خلال كلماته المختلفة في مكة المكرمة والمدينة المنورة وفي أماكن كثيرة خلال مسيره، وبيّن ذلك في وصيّته الى أخيه محمد بن الحنفية كان الإمام الحسين -عليه السلام- على علم بعاقبة هذا الأمر، وينبغي أن لا يُتصور أنَّ الإمام -عليه السلام- علّق آماله على نيل السّلطة وتحرّك من أجلها، وإن كانت هذه السّلطة من الأهداف المقدّسة، كلا، فليس هناك ما يستوجب علينا أن نعتقد بذلك؛ لأنَّ عاقبة هذا الطريق متوقعة وواضحة طبق الحسابات الدّقيقة للإمام الحسين -عليه السلام- والرؤية الإمامية، إلا أنَّ أهمّيّة المسألة تتأتّى من هذا الجانب، وهو أنّ ما قدّمه الحسين على عظمته وسموّ مكانه من تضحية كبرى يعتبر درساً عمليّاً بالنسبة للمسلمين الى يوم القيامة، وليس درساً نظريّاً يُكتب على لوحة الكتابة ثم يُمحى، كلا، فقد خُطَّ هذا النّهج بأمر إلهي على صفحات جبين التاريخ، وأدّى ثماره الى يومنا هذا.

كان الإمام الحسين رسالة تبليغية لم تفوته مناسبة عامة ولا خاصة إلا كان فيها داعياً

ناصحاً لأمّته معلماً لشيعته ناصحاً للمسلمين

ب- إنَّ خطاباته يوم الطّف وكانت له أربع خطب كل خطبة رسالة لو تليت على الجبال لتدكدكت وعجباً لهؤلاء القوم الذين سمعوا هذه الخطب وحظروا هذا المقام ولم يتأثروا . بل لأنّ على قلوبهم ما كانوا يكسبون، لهم آذان لا يسمعون بها . لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . لقد أسمعت لو ناديت حيّاً لكن لا حياة لمن تنادي .

الجانب الأدبي

إنّ الأدب جنبة إنسانية، وهو ملح الخطاب، والمال جوهرة البيان، وهو الذي يملك القلوب، ويجذب العقول، ويسر النّفوس، وقد عُرِف العرب بسحر البيان، وجوهر الأدب، وما المعلقات إلّا شاهد على ذلك ولم يعرف أدب وبيان بعد القرآن كنهج البلاغة حيث كان أمير المؤمنين -عليه السلام- كما وصف نفسه القرآن النّاطق، والحسين-عليه السلام- هو الامتداد الطبيعي لذلك البيان كما وصفه أحد أعدائه قائلاً (إنّ فيه نفس أبية) والاسهاب في أدب الحسين -عليه السلام- لا يكفي لشرحه عشرات المجلدات ولكن للاختصار نأخذ بعض الشذرات من أدب الخطاب الحسيني.

أ- للإمام الحسين -عليه السلام- خطب في عرصات كربلاء حيث وضع النّقاط على الحروف .

لمّا نظر الحسين -عليه السلام- إلى جمعهم كأنّه السّيل رفع يديه بالدّعاء وقال: **" أللهم أنت ثقتي في كلِّ كرب، ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلِّ أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة منّي إليك عمّن سواك فكشفته وفرّجته فأنت ولي كل نعمة، ومنتهى كل رغبة"(٥).**

ثم دعا براحلته فركبها ونادى بصوت عالٍ يسمعه جلّهم: **" أيّها الناس اسمعوا قولي**

ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم عليّ وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم فإن قبلتم عذري وصدّقتم قولي وأعطيتموني النّصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم علي سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر ولم تعطوا النّصف من أنفسكم فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون. إنّ وليي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصّالحين.

فلمّا سمعن النّساء هذا منه صحن وبكين وارتفعت أصواتهن فأرسل إليهنّ أخاه العباس وابنه علياً الأكبر وقال لهما سكتاهن فلعمري ليكثر بكاؤهنّ، ولما سكتن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد -صلى الله عليه وآله- وعلى الملائكة والأنبياء وقال في ذلك ما لا يحصى ذكره ولم يسمع متكلم قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقه ثم قال:

الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفةً بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرّته، والشّقي من فتنته، فلا تغرنكم هذه الدنيا فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر أرى أنّكم قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنبكم رحمته، فنعم الرّب ربنا وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد -صلى الله عليه وآله- ثم إنّكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فتبّاً لكم ولما تريدون، إنّا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظّالمين.

أيّها النّاس انسبوني من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟

ألست ابن بنت نبيّكم وابن وصيّه وابن عمّه وأوّل المؤمنين بالله والمصدّق برسوله بما جاء من عند ربه؟

أوليس حمزة سيّد الشّهداء عم أبي؟

أو ليس جعفر الطّيار عمّي؟

أو لم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي هذان سيدا شباب أهل الجنة؟

فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق والله ما تعمدت الكذب منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله ويضر به من اختلقه وإن كذبتموني فإنّ فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري وسهل بن سعد الساعدي وزيد بن أرقم وأنس بن مالك يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟

فقال الشمر: هو يعبد اللّه على حرف إنْ كان يدري ما يقول. فقال له حبيب بن مظاهر والله إنّي أراك تعبد اللّه على سبعين حرفاً وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول قد طبع اللّه على قلبك.

ثم قال الحسين: إن كنتم في شك من هذا القول أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيّكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته أو مال لكم استهلكته او بقصاص جراحة فأخذوا لا يكلّمونه.

فنادى يا شبث بن ربعي ويا حجار بن أبجر ويا قيس بن الأشعث ويا زيد بن الحارث ألم تكتبوا إليّ أن أقدم قد أينعت الثّمار واخضر الجناب وإنّما تقدم على جند لك مجندة؟ فقالوا لم نبعث!!

قال سبحان الله بلى والله لقد فعلتم، ثم قال أيّها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم الى مأمني من الأرض.

فقال له قيس بن الأشعث أولا تنزل على حكم بني عمّك فإنّهم لن يروك إلا ما تحب ولن يصل إليك منهم مكروه؟

فقال الحسين: أنت أخو أخيك أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد عباد الله إنّي عذت بربّي وربّكم

أن ترجمون أعوذ بربي وربكم من كل متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب..(٦).

ولا أريد أن أشرح خطاب أبي عبدالله الحسين-عليه السلام- في ذلك اليوم فأنا وغيري دون ذلك، ولكن مسك الختام أبيات ألقيتها عندما كان المقتل يقرأ في العتبة المقدسة قبل دخولي لها حيث سمعت كلماته بصوت المرحوم الكعبي ..

ضريحك أم فردوس لاح لناظري ... به المسك والكافور من جنة الخلد

وبيتك أم أرض الجنان بكربلاء ... بها ينتهي شوقي، ولا ينتهي وجدي

وصوتك أم أصل البيان، وفرعه ... يردده الكعبي قبلي ومن بعدي.

الهوامش:

١. سورة البقرة/ الآية: ٢٦١.

٢. بحار الانوار/ ج٤٥/ ص٢٢.

٣. كلمات الإمام الحسين-عليه السلام-/ ج ١/ ص٣٥٠.

٤. المصدر نفسه/ ج١/ ص ٣٥٨.

٥. المصدر نفسه/ ج١/ ص٤١١.

٦. بحار الأنوار/ ج٤٥/ ص٦.

البكاء وكمال الروح

محمد رضا الأسدي/ صحفي.

قال الإمام جعفر الصادق -عليه السلام- " الحمد لله الذي فضَّلنا على خلقه بالرحمة وخصَّنا أهل البيت بالرحمة، يا مسمع إنَّ الأرض والسماء لتبكي منذ قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) رحمة لنا، وما بكى لنا من الملائكة أكثر وما رقأت دموع الملائكة منذ قتلنا، وما بكى أحد رحمة لنا ولما لقينا إلَّا رحمه الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه، فإذا سالت دموعه على خده فلو أنَّ قطرة من دموعه سقطت في جهنم لاطفأت حرَّها حتَّى لا يوجد لها حر، وان الموجع قلبه لنا ليفرح يوم يرانا عند موته فرحة لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض، وان الكوثر ليفرح بمحبنا إذا ورد عليه حتى انه ليذيقه من ضروب الطَّعام ما لا يشتهي ان يصدر عنه"(١).

من يتتبع روايات أهل البيت -صلوات الله عليهم أجمعين- حول قضية البكاء على سيّد الشّهداء الحسين -عليه السلام-، يكتشف ثمّ علاقة بين البكاء على سيّد الشّهداء -عليه السلام-، وبين كونه سلماً تترقى من خلاله الرّوح لتصل الى كمالها، وكذلك يمكن تأصيل هذه القراءة من خلال الرّوايات، والنّصوص الشّرعية.

إنّ الواعي، والمتأمل، والمتدبر في روايات أهل البيت -عليهم السلام- يكتشف بجلاء أنّ هناك علاقة وثيقة بين البكاء على الحسين-عليه السلام-، وبين وصول الرّوح الى كمالها الأسنى، والأعلى وهذا ما سيتبين من خلال المحاور الآتية:

المحور الاول: معرفة أنَّ مفردة البكاء على سيد الشهداء-صلوات الله عليه- من صميم التَّعاليم الدِّينية الجوهرية، وأنَّ لها جذوراً عقلائية، وجذوراً وجدانية، حيث أن البكاء على المظلوم والتفاعل مع ما جرى عليه أمر وجداني، وفطري، وقد أكدت الرِّوايات الشَّريفة على هذا المنشأ الفطري، والوجداني، ومضمون تلك الروايات يعمد إلى تأصيل مفردة البكاء على أبي عبدالله الحسين -عليه السلام- دفعاً للشبهة القائلة بأنَّ البكاء على الإمام الحسين -عليه السلام- مجرد انفعال، ومبالغة من محب، ومشتاق من محبي الحسين -عليه السلام-، وأنَّهم ابتكروا هذه المبالغة في البكاء على الحسين، وإلَّا فالبكاء

ليس من ضمن البنية الدِّينية، وليست من ضمن التَّعاليم الدِّينية.

نحتاج إذن أن نؤصل في هذا المحور بذكر بعض الروايات، والتأكيد أنَّ هذه الروايات لم تأتِ فقط عن طريق مصادر الشيعة فقط، بل حتَّى من مصادر الآخرين مما يدل على أنَّ البكاء من صميم التَّعاليم الدِّينية العامَّة التي لا تخص فئة، أو مذهب، أو طائفة دون طائفة، ونبدأ بذكر بعض الروايات من مصادرنا الموثوقة العالية في متانتها من قبيل كتاب (كامل الزيارات) لابن قولويه-أعلى الله مقامه- وهو العالم الثِّقة الجليل الذي لم يتوقف أحد من الأعلام في وثاقته، وعلو مقامه، وسمو مرتبته.

الرِّواية الأولى: عن أبي جعفر -عليه السّلام-: "كان عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول : أيّما مؤمنٍ دمعتْ عَيناه لقتل الحسين ابن عليٍّ -عليهما السلام- دمعةً حتّى تسيل على خدِّه بوَّأه الله بها في الجنّة غُرفاً يسكنها أحقاباً ، وأيّما مؤمن دَمَعَتْ عيناه حتّى تسيل على خَدِّه فينا لأذى مسّنا من عَدوِّنا في الدُّنيا بوَّأه الله بها في الجنّة مبوَّأ صِدقٍ ، وأيّما مؤمن مَسَّه أذىً فينا فَدَمَعَتْ عيناه حتّى تسيل على خَدِّه من مَضَاضةِما أُوذي فينا صرَّف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سَخطه والنّار"(٢).

الرواية الثانية:عن أبي عُمارة المنشِد قال : "ما ذكر الحسين بن عليٍّ عليهما السلام عند أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام في يومٍ قطّ فرُئي أبو عبدالله عليه السلام في ذلك اليوم متبسِّماً قطّ إلى اللَّيل"(٣).

الرواية الثالثة: عن مِسْمَع بن عبدالملك كِرْدين البصريّ "قال لي أبو عبدالله عليه السلام : يا مِسْمع أنت من أهل العِراق؛ أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: لا؛ أنا رَجلٌ مشهورٌ عند أهل البصرة، وعندنا مَن يتّبع هوى هذا الخليفة، وعدوّنا كثير من أهل القبائل من النُّصّاب وغيرهم ، ولستُ آمنهم أنْ يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيُمثِّلون بي، قال لي : أفما تذكر ما صنع به ؟ قلت: نعم ، قال: فتجزع؟ قلت: إي والله واستعبر لذلك حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليَّ فأمتنع من الطّعام حتّى يستبين ذلك في وَجهي ، قال :

رحِمَ الله دَمعتَك ، أما إنّك من الّذين يُعدُّون من أهل الجزع لنا ، والّذين يفرحون لِفَرحنا ويحزنون لِحُزننا ويخافون لخَوْفنا ويأمنون إذا أمنّا ، أما إنّك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيّتهم ملكَ الموت بك ، وما يلقّونك به من البشارة أفضل ، ولملك الموت أرقّ عليك وأشدُّ رَحمةً لك من الأُمّ الشّفيقة على ولدها ، قال : ثمَّ استعبر واستعبرتُ معه ، فقال : الحمد لله الّذي فضّلنا على خلقه بالرَّحمة وخصَّنا أهل البيت بالرَّحمة ، يا مِسْمَع إنَّ الأرض والسَّماء لتبكي مُنذُ قُتل أمير المؤمنين عليه السلام رَحمةً لنا ، وما بكى لنا من الملائكة أكثر وما رَقأتْ دُموع الملائكة منذ قُتلنا ، وما بكى أحدٌ رَحمةً لنا ولما لقينا إلاّ رحمه الله قبل أن تخرج الدَّمعة من عينه ، فإذا سالَتْ دُموعه على خَدِّه ، فلو أن قطرةً من دُموعه سَقَطتْ في جهنَّم لأطْفَئتْ حَرَّها حتى لا يوجد لها حَرٌّ ، وإنّ الموجع لنا قلبه ليفرح يوم يرانا عند مَوته فرحَةً لا تزال تلك الفرْحَة في قلبه حتّى يرد علينا الحوض، وإنّ الكوثر ليفرح بمحبّنا إذا ورد عليه حتّى أنّه ليذيقه من ضروب الطَّعام ما لا يشتهي أن يصدر عنه، يا مِسْمع مَن شرب منه شَربةً لم يظمأ بعدها أبداً ، ولم يستق بعدها أبداً، وهو في بَرْدِ الكافور وريح المِسْك وطعم الزَّنجبيل، أحلى من العَسل، وألين من الزَّبد، وأصْفى من الدَّمع، وأذكى من العَنبر يخرج من تَسْنيم، ويمرُّ بأنهار الجِنان يجري على رَضْراض الدُّرِّ والياقوت، فيه من القِدْحان أكثرُ من عدد نجوم السَّماء، يوجد ريحه من مَسيرة ألف عام ، قِدْحانه من الذَّهب والفِضّة وألوان الجوهر ، يفوح في وجه الشّارب منه كلُّ فائحة حتّى يقول الشّارب منه: يا ليتني تركت ههنا لا أبغي بهذا بَدلاً، ولا عنه تَحويلاً، أما إنّك يا [ابن] كِرْدين ممّن تروي منه، وما من عَين بَكتْ لنا إلاّ نَعمتْ بالنّظر إلى الكوثر وسُقيتْ منه، وأنَّ الشَّارب منه ممّن أحبَّنا ليعطى من اللذّة والطَّعم والشَّهوة له أكثر ممّا يعطاه مَن هو دونه في حُبِّنا"(٤) .

كذلك في نصوص الآخرين نجد روايات تشير إلى أن البكاء فعل قام به الرسول المصطفى محمد -صلى الله عليه وآله-

الرواية الأولى: في منتخب كنز العمال صفحه ١١٢ الجزء الخامس للشيخ علاء الدين علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي من علماء أهل السنة. قال أخرج الطبراني في الكبير عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أم سلمة قالت: " كان النبي (صلى الله عليه وآله) جالسا ذات يوم في بيتي فقال: لا يدخلن علي أحد فانتظرت فدخل الحسين فسمعت نشيج النبي (صلى الله عليه وآله) يبكي، فاطلعت فإذا الحسين في حجره أو إلى جنبه يمسح رأسه وهو يبكي. فقلت: والله ما علمت به حتى دخل. قال النبي (صلى الله عليه وآله) أن جبرائيل كان معنا في البيت فقال: أتحبه؟ فقلت: أما من حب الدنيا نعم، فقال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلا. فتناول من ترابها فأراه النبي (صلى الله عليه وآله)، فلما أحيط بالحسين حين قتل قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: أرض كربلا، قال: صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله) أرض كرب وبلاء.

الرواية الثانية: جاء في مستند أحمد بن حنبل صفحة (٨٥) من الجزء الأول بسنده عن عبد الله بن نجي عن أبيه " إنه سار مع علي -عليه السلام- وكان صاحب مطهرته (أي الإناء الذي يتطهر به ويتوضأ منه) فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى علي -عليه السلام- أصبر أبا عبد الله، أصبر أبا عبد الله بشط الفرات قلت: وما ذاك؟ قال، دخلت على النبي (صلى الله عليه وآله) ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت، يا نبي الله أغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبرائيل قبل أمد فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات. قال فقال: هل لك إلى أن أشمك من تربته؟ قال: قلت نعم، فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا.."

ونقل هذا الحديث بنفس العبارة أو مع إضافة عليها كتاب (الصواعق المحرقة) لابن حجر، وكتاب (منتخب كنز العمال) والسبط ابن الجوزي الحنفي في (تذكرة الخواص) والبغوي في معجمه، وغيرهم كثيرون من رواة السنة والشيعة.

إذن البكاء على الإمام الحسين -عليه السلام- ليس في مصادر الشيعة فقط بل حتى في

مصادر الآخرين وليس هو وحي من فعل العاطفة المجردة من الشيعة، إنما هو استناد إلى تعاليم دينية، وهذه الروايات والنماذج تؤصل مفردة البكاء على سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين-عليه السلام-.

المحور الثَّاني: بعد أن عرفنا أن البكاء على الإمام الحسين-عليه السلام- مفردة أصيلة ضمن التَّعاليم الدِّينية، يبقى علينا أن نعرف ماهي مردودات البكاء على تكامل الرُّوح.

نستطيع أن نجزم أنَّ البكاء على الحسين له قدرة فائقة على أخذ الرُّوح إلى أوج الكمال فمن اشتكى من كثرة الذّنوب، والبعد من الله-سبحانه-، والضياع، فعليه أن يتعلق بالإمام الحسين-عليه السلام-، وهذا ثابت ضمن رؤية معرفية تحتاج إلى تدبر، فهناك مردودات ثمينة جداً للبكاء .

أمَّا كيف نثبت أنَّ للبكاء هذا المردود؟

هناك عدَّة طرق، ولكن سوف نركز على طريقين من خلالهما نصل إلى هذه النتيجة:

الطَّريق الأوَّل: نستطيع أن نثبت هذه النتيجة، وتلك الحقيقة من خلال عبادية البكاء، وعندما نثبت أنَّ البكاء عبادة نستطيع أن نثبت أنَّ للبكاء قدرة، وأثر في تكامل الروح.

أمَّا كيف نقرب الاستدلال على أنَّ البكاء له مردود في تكامل الروح؟.

مما لا شكَّ فيه أنَّ كلَّ عبادة أمر الله-تعالى- بها، ودلَّ عليها الأنبياء والأوصياء-سلام الله عليهم- تقرِّب إلى الله-تعالى، وبالتالي فإنَّ هذا التقرب يورث الروح كمالاً، حيث أنَّ الرُّوح متى ما أصبحت قريبة من الله -تعالى- نالت نصيباً من الكمال، ولذلك نحن نرى في الرِّوايات والنصوص سواء القرآنية أو الروائية تؤكد على أن الروح متى ما ارتبطت بالعبادة أصبحت مؤهلة للصعود، نلاحظ في قوله -تعالى-: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي)(٥) أمَّا بالنسبة للأحاديث القدسية تكشف هذا المعنى، قال الله -سبحانه-: " **مازال عبدي يتقرَّب إلي بالنوافل حتَّى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر**

به و يده التي يبطش بها"(٦)، يعني تصبح هذه الجوارح فوق طبيعتها، وهذا يفيد أنَّ النوافل تجعل من جوارح الإنسان وروح الإنسان في سلم الكمال، وقد ثبت أنَّ البكاء على الإمام الحسين -عليه السلام- عبادة قال الصادق -عليه السلام- : "نَفَسُ المهموم لظلمنا تسبيح، وهمّه لنا عبادة، وكتمان سّرنا جهادٌ في سبيل الله . ثم قال : يجب أن يكتب هذا الحديث بالذهب"(٧) .

لذلك فقد أعطى أئمة أهل البيت-عليهم السلام- عمقاً آخر لهذا الشعار عندما طرحوه مصداقاً من مصاديق تعظيم شعائر الله-تعالى-، وأسلوباً للتعبير عن استنكار الظلم، والتفاعل الذاتي مع قضية كربلاء وأهدافها، ومنهجاً لتزكية النفس وتهذيبها، بحيث تحول إلى عبادة يمارسها الإنسان بطريقة فردية أو جماعية.

الطريق الثاني: إنَّ البكاء على الإمام الحسين -عليه السلام- عبادة، ونستطيع أن نثبت عبادية البكاء من طرق عديدة، ولكن يكفينا طريق واحد، ألا وهو الاستناد إلى فعل المعصوم-صلوات الله عليه-، فمتى ما فعل شيئاً فإنَّ فعله يكشف على أنَّ ذلك الفعل عبادة؛ لأنَّ المعصوم لا يفعل فعلاً إلَّا ويريد به التَّقرب به إلى الله-تعالى-، ولهذا نحن نلاحظ عندما نأتي إلى البكاء على الحسين -عليه السلام- نراه من صميم أفعال الأنبياء، وأفعال المعصومين-عليهم السلام-، بل حتَّى أصبح عبادة يدأبون عليها.

وهناك روايات عديدة تبيِّن أن الأنبياء، والأوصياء-عليهم السلام- دئب على البكاء وأصبح شغلهم الشَّاغل، قال الإمام الصادق -عليه السلام-: " بكى علي بن الحسين عليه السلام عشرين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف أن تكون من الهالكين، قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة. وفي رواية: أما آن لحزنك أن ينقضي ؟ ! فقال له: ويحك إن يعقوب النبي عليه السلام كان له اثنا عشر ابنا فغيب الله واحدا منهم، فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب

ظهره من الغم، وكان ابنه حيا في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟"(٨).

وعن محمد بن سهيل البحراني رفعه إلى أبي عبد الله -عليه السلام- قال: " البكاؤن خمسة: آدم ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين عليه السلام فأما آدم: فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الاودية، وأما يعقوب: فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيل له: " تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين " وأما يوسف: فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا: إما أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل، وإما أن تبكي بالليل وتسكت بالنهار، فصالحهم على واحد منهما، وأما فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله: فكبت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها أهل المدينة، وقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف، وأما علي بن الحسين عليهما السلام: فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة"(٩).

وفي كامل الزيارات : عن إسماعيل بن منصور عن بعض أصحابنا قال : أشرف مولى لعلي بن الحسين -عليه السلام-، وهو في سقيفة له ساجد يبكي.

فقال له: يا مولاي، يا علي بن الحسين، أما آن لحزنك أن ينقضي.

فرفع رأسه إليه و قال: ويلك أو ثكلتك أمك، و الله لقد شكا يعقوب إلى ربه في أقل مما رأيت .

حتى قال: (يا أسفى على يوسف) أنه فقد ابناً واحداً .

و أنا رأيت: أبي و جماعة أهل بيتي يذبحون حولي.

قال و كان علي بن الحسين -عليه السلام-: يميل إلى ولد عقيل.

فقيل له: ما بالك تميل إلى بني عمك هؤلاء دون آل جعفر.

فقال: إني أذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين بن علي -عليهم السلام-، فأرق لهم"(١٠).

هنا الإمام زين العابدين-عليه السلام- يعلمنا أنَّ البكاء على الإمام الحسين-عليه الشلام- أرقى صورة عبادية.

كلُّ هذا يكشف لنا أن الأئمة -عليهم السلام- أرادوا من البكاء على الحسين طريقاً للتقرب إلى الله -عز وجل- وسلماً للكمال كما صنع الإمام زين العابدين-عليه السلام- في بكائه على الحسين -عليه السلام- وهو ساجد، لذا علينا أن نعطي البكاء حقه، فالمعصوم عندما يفعل فعلاً أو يقول قولاً ففعله، وقوله حجة، كما أنَّه يجعل المقتدي قريباً إلى الله -سبحانه وتعالى- بل ومحبوباً، قال الله -تعالى- (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ . وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(١١) وليس معناها يحب فعلكم فقط، وإنما يحبكم، ويحب فيكم كلَّ شيء، والاتباع للمعصومين والحجج-عليهم السلام- يجعل الانسان المقتدي محبوباً عند الله -سبحانه وتعالى- يعني أنَّه أصبح قريباً لله -عز وجل-؛ لأن أقرب رتبة للعبد هي رتبة المحبة ولذلك اختار الله حبيبه أو صفيه، وأول من خلق في درجة الحبيب درجة رسول الله محمد -صلى الله عليه وآله- حبيب الله-سبحانه-.

ويقول أهل الحكمة أنَّ المتبع لفعل المعصوم، والمقتدي بفعل المعصوم-عليه السلام- يجعل نفسه متقمصاً متلبساً بفعل المعصوم أي أن لو صلى المعصوم صلاة، وأصليها كما صلَّها فإنَّ ذلك مدعاة للتلبس بفعله-عليه السلام-، وبعبارة أخرى أنَّ المشابهة في الفعل تعطي، وتورث المتبع كمال الفعل، فإن كان للفعل كمال يقرب إلى الله-سبحانه- فالقائم بهذا الفعل ينال ذلك الأثر؛ لأن الفعل شابه ذلك الفعل مع وجود الرغبة والإخلاص في الداخل أن يكون لاحقاً بالمعصوم ولذلك هناك أفعال كثيرة يعطى أجرها وإن لم يكن

مشاركاً فيها، ولكن بسبب البكاء، والحزن على صاحب الفعل يجعله شريكاً عن الريان بن شبيب قال: دخلت على الرضا -عليه السلام- في أول يوم من المحرَّم فقال لي: " يا ابن شبيب أصائم أنت فقلت: لا، فقال: إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا ربه عزوجل فقال: " رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء " فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى، فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله عزوجل استجاب الله له كما استجاب لزكريا عليه السلام. ثم قال: يا ابن شبيب إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الامة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقلة، فلا غفر الله لهم ذلك أبدا.

يا ابن شبيب إن كنت باكيا لشئ فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام فانه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلا، مالهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشعارهم " يا لثارات الحسين ". يا ابن شبيب لقد حدثني أبي، عن أبيه، عن جده أنه لما قتل جدي الحسين أمطرت السماء دما وترابا أحمر، يا ابن شبيب إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيرا كان أو كبيرا، قليلا كان أو كثيرا. يا ابن شبيب إن سرك أن تلقى الله عزوجل ولا ذنب عليك، فزر الحسين عليه السلام، يا ابن شبيب إن سرك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي صلى الله عليه واله فالعن قتلة الحسين. يا ابن شبيب إن سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين فقل متى ما ذكرته " يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما ". يا ابن شبيب إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أن رجلا تولى

حجرا لحشره الله معه يوم القيامة"(١٢).

وعن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبد الله -عليه السلام- واحدثه فدخل عليه ابنه فقال له: مرحباً وضمه وقبله وقال: "حقر الله من حقركم، وانتقم ممن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم وليا وحافظا وناصرا، فقد طال بكاء النساء وبكاء الانبياء والصديقين، والشهداء، وملائكة السماء. ثم بكي وقال: يا أبا بصير إذا نظرت إلى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه بما اتي إلى أبيهم وإليهم، يا أبا بصير إن فاطمة لتبكيه وتشهق، فتزفر جهنم زفرة لولا أن الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها، فيحرق أهل الارض فيكبحونها ما دامت باكية، ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الارض فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة وإن البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلا بها ملك موكل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نأرها بأجنحته، وحبس بعضها على بعض، مخافة على الدنيا ومن فيها ومن على الارض، فلا تزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائها ويدعون الله ويتضرعون إليه ويتضرع أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الارض، ولو أن صوتا من أصواتهم يصل إلى الارض لصعق أهل الارض وتقلعت الجبال، وزلزلت الارض بأهلها. قلت: جعلت فداك إن هذا الامر عظيم قال: غيره أعظم منه ما لم تسمعه ثم قال: يا با بصير أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة ؟ فبكيت حين قالها، فما قدرت على المنطق وما قدرت على كلامي من البكاء ثم قام إلى المصلى يدعو وخرجت من عنده على تلك الحال فما انتفعت بطعام وما جاءني النوم وأصبحت صائما وجلا حتى أتيته فلما رأيته قد سكن سكنت وحمدت الله حيث لم تنزل بي عقوبة. بيان: تقول كبحت الدابة إذا جذبتها إليك باللجام لكي تقف ولا تجري"(١٣).

الهوامش:

١. كامل الزيارات/ ص١٨٥.

٢. المصدر نفسه/ ص١٠٧.

٣. المصدر نفسه/ ص١٠٨.

٤. المصدر نفسه/ ص١٠٩.

٥. سورة الفجر/ الآية: ٢٧.

٦. ميزان الحكمة/ ج٢/ ص١٦١.

٧. مجالس المفيد/ ص٢٧٨.

٨. بحار الأنوار / ج ٤٦ / ص ١٠٨.

٩. المصدر نفسه / ج ٤٦ / ص ١٠٩.

١٠. كامل الزيارات/ ص١٠٧.

١١. سورة آل عمران/ الآية: ٣١.

١٢. بحار الأنوار / ج ٤٤ / ص ٢٨٥.

١٣. المصدر نفسه / ج ٤٥ / ص ٢٠٨.

زيارة الأربعين

زيارة الأربعين

حشودٌ من الزوارِ تسعى بلهفةٍ ... إليك أبا الأحرارِ رغم المصاعبِ
كبحرٍ كسيلٍ عارمٍ ليس ينثني ... إذا اشتعلت نيرانُ حقد النواصبِ
تُجدِّدُ عهد الحب في كل مرّة ... وما خاف من يهواك لوم المُعاتبِ
ملايينُ قد جاءت تُحَيّي إمامَها ... تحيطُهُمُ الأخطار من كل جانبِ
عقاربُ تسعى خلفَهُم بسمومها ... تطاردهم دوما بعينِ المُراقبِ
تحاولُ بالإرهاب قطع مسيرِهم ... وهل يكبحُ الإعصارَ نسجُ العناكبِ
جرائمُ يَندى كلُّ ذي جبهةٍ لها ... ويخجلُ لا يقوى على رفعِ حاجبِ
تواصلَ شرُّ الظالمين ببعضِهِ ... وتبقى جبال الصبر فوق المتاعبِ
أمَيَّةُ ما زالت شراذمُ نسلِها ... تحاولُ أن تحيي عصور المثالبِ
تجَلّت بأفّاقين غايةُ دينهِم ... إطالةُ لِحيةٍ وتقصيرُ شاربِ

وذبحٌ وتفجيرٌ وتهجيرُ أسرةٍ ... وليس جهاداً إنّما غدرُ خائبِ
جبانٍ ويخشى أن يواجهِ جهرةً ... كفأرٍ، كخفّاشٍ من الضوء هاربِ
ملايين من شتّى البقاع توافدت ... لها كبرياءٌ في عُلوّ الكواكبِ
تهزّ ضمير الكون وهْيَ بسيطة ... بحبّكَ قد نالوا سُمُوَّ المراتبِ
يُنادون يا مذبوحُ نفديك بالدما ... وإن حالَ بُعدُ الدهر دون التجاوُبِ
سلامٌ على السبط الحسين شفيعنا ... سلام على العباسِ مُفني الكتائبِ
سلام على الحوراءِ زينبَ أختِهم ... شريكتِهم في الصبرِ، أمِّ المصائبِ
وطفلٍ رضيعٍ قد تروّى بنحره ... تذوَّق دون الماء سهمَ النوائبِ
وكُلِّ الذين استُشهدوا يوم كربلا ... دفاعاً عن الأطهارِ من آل طالبِ
ضريحٌ بلِ الجنّاتُ في شكل مرقدٍ ... ملائكةُ الرحمانِ بين المواكبِ
وما ذَهَبُ الجدران زانكَ إنّما ... بنورِكَ قد زيّنتَهُ والمناقبِ
ورأسُك قرآنٌ على الرمح ناطقٌ ... فكم فيك من سرٍّ وكم من عجائبِ
دمائُك للإسلام أرسَت دعائماً ... ولولاك عاثَت فيه كفُّ المُشاغبِ
حَفِظتَ أصولَ الدين أن يستبيحها ... لقيطٌ بلا أصلٍ، سليلُ المعايبِ
رسَمتَ طريق المجد أروعَ لوحةٍ ... قرونٌ مضت ولونُها غيرُ شاحبِ
حكيمٌ وذو علمٍ وماكنتَ هاوياً ... تَخَبّط في مسعاهُ بين التجاربِ
يقودُك إلهامُ الإلهِ وَوَحيُهُ ... وغيرُكَ أعماهُ بريقُ المناصبِ
وأنت صراطٌ للّذي يقصد الهُدى ... منارٌ حوالَيهِ ازدحامُ المناكبِ
ترعرَعتَ في حِجرِ القداسةِ والتُّقى ... فجئتَ نقيّاً من جميع الشوائبِ
مديحي مُحالٌ أن يزيدَكَ رفعَةً ... فإنّكَ أسمَى من مقالة كاتبِ
ولكنّني أرجو شفاعة سيدي ... وغفران آثامي ونيل مطالبي

زيارة الإمام الحسين -عليه السلام- في العشرين من صفر

روى الشّيخ في التّهذيب والمصباح عن الإمام الحسن العسكري -عليه السلام- قال: علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين أي الفرائض اليوميّة وهي سبع عشرة ركعة والنّوافل اليوميّة وهي أربع وثلاثون ركعة، وزيارة الأربعين، والتّختّم باليمين وتعفير الجبين بالسّجود، والجهر بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ، وقد رويت زيارته في هذا اليوم على نحوين، أحدهما ما رواه الشّيخ في التّهذيب والمصباح عن صفوان الجمّال قال: قال لي مولاي الصّادق -صلوات الله عليه- في زيارة الأربعين: تزُور عند ارتفاع النّهار وتقول:

اَلسَّلامُ عَلى وَلِيِّ اللهِ وَحَبيبِه، اَلسَّلامُ عَلى خَليلِ اللهِ وَنَجيبِه، اَلسَّلامُ عَلى صَفِيِّ اللهِ وَابْنِ صَفِيِّه، اَلسَّلامُ عَلَى الْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الشَّهيدِ، اَلسَّلامُ على اَسيرِ الْكُرُباتِ وَقَتيلِ الْعَبَراتِ، اَللّـهُمَّ اِنّي اَشْهَدُ اَنَّهُ وَلِيُّكَ وَابْـنُ وَلِيِّكَ وَصَفِيُّكَ وَابْـنُ صَفِيِّكَ الْفائِزُ بِكَرامَتِكَ، اَكْرَمْتَهُ بِالشَّهادَةِ وَحَبَوْتَهُ بِالسَّعادَةِ، وَاَجْتَبَيْتَهُ بِطيبِ الْوِلادَةِ، وَجَعَلْتَهُ سَيِّداً مِنَ السادَةِ، وَقائِداً مِنَ الْقادَةِ، وَذائِداً مِنْ الذادَةِ، وَاَعْطَيْتَهُ مَواريثَ الاَنْبياءِ، وَجَعَلْتَهُ حُجَّةً عَلى خَلْقِكَ مِنَ الاَوْصياءِ، فَاَعْذَرَ فِي الدُّعاءِ وَمَنَحَ النُّصْحَ، وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبادَكَ مِنَ الْجَهالَةِ وَحَيْرَةِ الضَّلالَةِ، وَقَدْ تَوازَرَ عَلَيْهِ مَنْ غَرَّتْهُ الدُّنْيا، وَباعَ حَظَّهُ بِالاَرْذَلِ الاَدْنى، وَشَرى آخِرَتَهُ بِالثَّمَنِ الاَوْكَسِ، وَتَغَطْرَسَ وَتَرَدّى فِي هَواهُ، وَاَسْخَطَكَ وَاَسْخَطَ نَبِيَّكَ، وَاَطاعَ مِنْ عِبادِكَ اَهْلَ الشِّقاقِ وَالنِّفاقِ وَحَمَلَةَ الاَوْزارِ الْمُسْتَوْجِبينَ النّارَ، فَجاهَدَهُمْ فيكَ صابِراً مُحْتَسِباً حَتّى سُفِكَ فِي طاعَتِكَ دَمُهُ وَاسْتُبيحَ حَريمُهُ، اَللّـهُمَّ فَالْعَنْهُمْ لَعْناً وَبيلاً وَعَذِّبْهُمْ عَذاباً اَليماً، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا بْنَ رَسُولِ اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا بْنَ سَيِّدِ الأَوْصياءِ، اَشْهَدُ اَنَّكَ اَمينُ اللهِ وَابْنُ اَمينِه، عِشْتَ سَعيداً وَمَضَيْتَ حَميداً وَمُتَّ فَقيداً مَظْلُوماً شَهيداً، وَاَشْهَدُ اَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ ما وَعَدَكَ، وَمُهْلِكٌ مَنْ خَذَلَكَ، وَمُعَذِّبٌ مَنْ قَتَلَكَ، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ وَفَيْتَ بِعَهْدِ اللهِ وَجاهَدْتَ فِي سَبيلِهِ حَتّى اَتاكَ الْيَقينُ، فَلَعَنَ اللهُ مَنْ قَتَلَكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ظَلَمَكَ، وَلَعَنَ اللهُ اُمَّةً سَمِعَتْ

بِذلِكَ فَرَضِيَتْ بِهِ، اَللّٰهُمَّ اِنّي اُشْهِدُكَ اَنّي وَلِيٌّ لِمَنْ والاهُ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عاداهُ بِاَبي اَنْتَ وَاُمّي يا بْنَ رَسُولِ اللهِ، اَشْهَدُ اَنَّكَ كُنْتَ نُوراً في الاَصْلابِ الشّامِخَةِ وَالاَرْحامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجاهِلِيَّةُ بِاَنْجاسِها وَلَمْ تُلْبِسْكَ الْمُدْلَهِمّاتُ مِنْ ثِيابِها، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ مِنْ دَعائِمِ الدّينِ وَاَرْكانِ الْمُسْلِمينَ وَمَعْقِلِ الْمُؤْمِنينَ، وَاَشْهَدُ اَنَّكَ الاِمامُ الْبَرُّ التَّقِيُّ الرَّضِيُّ الزَّكِيُّ الْهادي الْمَهْدِيُّ، وَاَشْهَدُ اَنَّ الاَئِمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ كَلِمَةُ التَّقْوى وَاَعْلامُ الْهُدى وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقى، وَالْحُجَّةُ على اَهْلِ الدُّنْيا، وَاَشْهَدُ اَنّي بِكُمْ مُؤْمِنٌ وَبِاِيابِكُمْ، مُوقِنٌ بِشَرايِعِ دينِي وَخَواتيمِ عَمَلي، وَقَلْبي لِقَلْبِكُمْ سِلْمٌ وَاَمْري لِاَمْرِكُمْ مُتَّبِعٌ وَنُصْرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتّى يَأْذَنَ اللهُ لَكُمْ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ عَدُوِّكُمْ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَعلى اَرْواحِكُمْ وَاَجْسادِكُمْ وَشاهِدِكُمْ وَغائِبِكُمْ وَظاهِرِكُمْ وَباطِنِكُمْ آمينَ رَبَّ الْعالَمينَ .

ثمّ تصلّي ركعتين وتدعو بما أحببت وترجع .